

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية التربية
قسم التربية الإسلامية والمقارنة

المضامين التربوية المستنبطة من قصة سليمان عليه السلام وملكة سبأ في القرآن الكريم

بحث تكميلي لنيل درجة الماجستير في التربية الإسلامية والمقارنة

إعداد الطالب

فؤاد بن سالم علي الأسود

الرقم الجامعي ٤٣٠٨٨٠٢٢

إشراف

د. محمد عبدالرؤوف عطية السيد

الأستاذ المشارك بقسم التربية الإسلامية

الفصل الدراسي الأول

للعام الدراسي ١٤٣٣- ١٤٣٤هـ


بسم الله الرحمن الرحيم

ملخص الدراسة باللغة العربية

عنوان الدراسة : المضامين التربوية المستنبطة من قصة سليمان عليه السلام وملكة سبأ في القرآن الكريم.

اسم الطالب : فؤاد بن سالم علي الأسود.

التخصص : التربية الإسلامية.

الدرجة العلمية : ماجستير.

هدف الدراسة : الكشف عن المضامين التربوية التي تضمنتها قصة سليمان عليه السلام وملكة سبأ في القرآن الكريم.

منهج الدراسة : المنهج الاستنباطي.

فصول الدراسة : اشتملت الدراسة على خمسة فصول، وهي كالتالي:

الفصل الأول : الإطار العام للدراسة.

الفصل الثاني : قصة سليمان عليه السلام وملكة سبأ في القرآن الكريم.

الفصل الثالث : المضامين التربوية المستنبطة من قصة سليمان عليه السلام وملكة سبأ في القرآن الكريم في الجانب العقدي والتعبدي.

الفصل الرابع : المضامين التربوية المستنبطة من قصة سليمان عليه السلام وملكة سبأ في القرآن الكريم في الجانب الأخلاقي.

الفصل الخامس : المضامين التربوية المستنبطة من قصة سليمان عليه السلام وملكة سبأ في القرآن الكريم في الجانب الإداري والسياسي.

أهم نتائج الدراسة:

١- احتوت قصة سليمان عليه السلام وملكة سبأ في القرآن الكريم احتوت على العديد من المضامين التربوية التي تميزت بشمولها لشتى جوانب الشخصية، فقد احتوت على المضامين العقدية والتعبدية والأخلاقية والإدارية والسياسية.

٢- أكدت قصة سليمان عليه السلام وملكة سبأ في القرآن الكريم على أن الضرورات تبيح المحظورات، فالهدهد قد خالف النظام و لم ينجيه إلا الضرورة التي وجب أن يحيط بها وهي الشرك وعبادة غير الله تعالى.

٣- أن تطبيق المضامين التربوية المستنبطة من قصة سليمان عليه السلام وملكة سبأ في القرآن الكريم في كل من الأسرة والمدرسة قولاً وعملاً يؤدي إلى نجاح الآباء والأمهات والمعلمين في تقويم سلوك النشء.

توصيات الدراسة ومقترحاتها:

١- مواصلة البحوث التربوية المتعلقة في دراسة النصوص القرآنية والنبوية، ومن ثم تكوين موسوعة عن المضامين التربوية المستنبطة من القرآن الكريم.

٢- إنشاء مراكز أبحاث لوضع أسس وتصورات تربوية وإدارية تتناسب ومقتضيات العصر، بدل الرجوع إلى النظريات الغربية والأفكار الشرقية والتي لا تتناسب مع ظروف وأوضاع وثقافة المجتمع الإسلامي.

٣- إجراء دراسة لقياس مدى تطبيق المؤسسات التربوية للمضامين المستنبطة من قصة سليمان عليه السلام وملكة سبأ في القرآن الكريم.

٤- إجراء دراسة عن الحوار الحضاري مع الآخر في ضوء قصة سليمان عليه السلام وملكة سبأ في القرآن الكريم.

ملخص الدراسة باللغة الإنجليزية

Summary of the study

Research Title : Educational Contents of Solomon, peace be upon him, and the Queen of Sheba story in The Holly Quran.
Researcher Name : Fouad Salem Ali Al-Aswad
Specialization: Islamic Education
Degree: Master
Research Objectives : Detection of Educational Contents of Solomon , peace be upon him, and the Queen of Sheba story in The Holly Quran.
Study Methodology : Deductive method.
Research chapters :
The research included five chapters as follows:
Chapter one : General framework of the research.
Chapter two : Solomon , peace be upon him, and the Queen of Sheba story in The Holly Quran.
Chapter three : Educational Contents of Solomon , peace be upon him, and the Queen of Sheba story in The Holly Quran in the faithful (dogmatic and worshipful) side .
Chapter four : Educational Contents of Solomon , peace be upon him, and the Queen of Sheba story in The Holly Quran in the moral side.
Chapter five : Educational Contents of Solomon , peace be upon him, and the Queen of Sheba story in The Holly Quran in the administrative and political sides.
Most important research results:
1. The story of Solomon, peace be upon him, and the Queen of Sheba in the Holy Quran contained several educational contents that characterized various personal, faithful, moral, and administrative and political aspects.
2. The story of Solomon, peace be upon him, and the Queen of Sheba in the Qur'an confirmed that necessities make banned things possible.
3. The application of the educational contents deduced from the story of Solomon, peace be upon him, and the Queen of Sheba in the Quran in both the family and the school - by both word and deed - leads to success of parents and teachers in the evaluation of the behavior of youths.

Recommendations and Suggestions
1. Conducting educational researches relating to the deduction from the Quran, and then configuring an encyclopedia for the educational contents deduced from the The Holly Quran.
2. The establishment of research centers to lay the foundations and educational and administrative perceptions commensurate with the requirements of the recent times, rather than refering to Western theories and ideas of East different from circumstances, conditions and culture of the Muslim community.
3. Conducting a study to measure the extent of the application of educational institutions of the contents deduced from the story of Solomon, peace be upon him, and the Queen of Sheba in the Quran .

Making a study on the civilizations dialogue with the other, in the light of the story of Solomon, peace be upon him, and the Queen of Sheba in the Quran.

شكر وتقدير

الحمد لله رب العالمين حمداً كثيراً مباركاً فيه، والصلاة والسلام على أشرف خلق الله تعالى محمد بن عبدالله وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾ (سورة إبراهيم: الآية٧).

ثم فإنه ليسرني أن أتوجه إلى الله سبحانه وتعالى بالحمد والشكر على توفيقه وإعانته لي في إنجاز هذا العمل وإتمامه، فالحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

واعترافاً بالفضل لأهل الفضل، وعملاً بقول المصطفى صلى الله عليه وسلم: "من لا يشكر الناس لا يشكر الله" (الترمذي، ١٩٩٦، ج٤، حديث رقم:١٩٥٤، ص٣٣٩). فإني أتقدم بخالص شكري وعظيم تقديري لصاحب الخلق الرفيع، سعادة الدكتور/ محمد عبدالرؤوف عطية السيد، على ما بذله من جهد ووقت وعلم لإتمام هذا العمل وإخراجه بهذه الصورة، كما أشكر له صبره وحرصه طيلة فترة البحث، فجزاه الله عني وعن زملائي خير الجزاء.

والشكر والتقدير موصول إلى المناقشين الكريمين لهذا العمل: سعادة الدكتور/ نايف بن حامد همام الشريف، وسعادة الدكتور/ محمد مجاهد زين الدين، لتفضلهما بقبول مناقشة هذا البحث فجزاهما الله عني خير الجزاء.

كما أتوجه بالشكر والعرفان إلى رئيس قسم التربية الإسلامية المربي الفاضل سعادة الدكتور/ خليل بن عبدالله الحدري حفظه الله تعالى وإلى جميع منسوبي وأعضاء هيئة التدريس بكلية التربية الإسلامية بجامعة أم القرى.

وأخيرا أشكر كل من أعارني كتاباً، أو أسدي إليّ نصحاً، أو نبهني إلى خطأ، أو ساعدني في البحث، أو دعا لي بدعوة بظهر الغيب، سائلاً المولى عز وجل أن يجزي الجميع خير الجزاء، وأن يجعل هذا العمل في موازين حسناتهم وألا يحرمنا الأجر.

وأرجو الله أن يتقبل هذا العمل وأن يكون خالصاً لوجهه الكريم، فما كان فيه من صواب فمن الله تعالى وحده، وما كان من خطأ فمن نفسي والشيطان، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الفصل الأول
الإطار العام للدراسة

- مقدمة:
- تساؤلات الدراسة:
- أهداف الدراسة:
- أهمية الدراسة:
- منهج لدراسة:
- مصطلحات الدراسة:
- حدود الدراسة:
- الدراسات السابقة:

الفصل الأول

الإطار العام للدراسة

مقدمة:

إن الأمم لتعتز بما لديها من تراث معرفي، سواء كان هذا التراث حقا أم باطلا، فهذه أمم الغرب من أهل الكتاب يعتزون بكتبهم المحرفة ويظهرون ما فيها من قيم وأخلاق، وهذه أمم الشرق تعتز بعقائد موروثة قلدوا فيها الآباء والأجداد على جهل وضلال يسعون دوما لإظهارها كالنور الذي ينير طريق التائهين.

وأما أمة الإسلام التي حباها الله بأعظم ثروة علمية عرفها التاريخ إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، فحري بها أن تفخر بهذا الكتر العظيم ألا وهو القرآن الكريم، الذي ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ (سورة فصلت، آية: ٤٢).

ولقد امتن الله بالقرآن على عباده حتى اتسع على أهل الأفكار طريق الاعتبار، بما فيه من القصص والأخبار، ففيه خبر من قبلنا، ونبأ من بعدنا، وهو الحق ليس بالهزل، من قال به صدق، ومن حكم به عدل، ومن عمل به أُجر، ومن تمسك به هُدي، لا تنقضي عجائبه، ولا تتناهي غرائبه، ولا يخلق مع كثرة الترداد، هو العروة الوثقى، والنور المبين، من خالفه من الجبابرة قصمه الله، ومن ابتغى العلم بغيره أضله الله، فيه التربية، وفيه التوجيه، وفيه من كل علم وجيه، هو البحر لا ساحل له، مهما أُخِذ منه أو نُهِل من معينه فلن يُستوفى حقه، كلما تقدم الزمان كلما زاد جِدّةً وأصالةً (البيهقي، ١٤٢٣ه، ج٣، حديث رقم:١٧٨٨، ص٣٣٥).

والمتمعن في القرآن الكريم يجد كثرة الأساليب التربوية التي اشتمل عليها، كأسلوب الحوار وأسلوب القصة وأسلوب الموعظة وأسلوب القدوة وغيرها من الأساليب التربوية التي اهتم بها القرآن الكريم لما لها من أثر عميق في نفس القارئ.

والقصة كأحد الأساليب التربوية، حث عليها القرآن الكريم، لما لها من أثر عظيم في التربية والتوجيه، والدعوة إلى الخير والصلاح، وأتت في القرآن كأعظم ما يكون القصص لا شائبة تشوبها ولا خيال أو تزييف يدنسها، فيها تهذيب النفوس وتربية القلوب، وتغذية العقول، والترويح المطلوب، فلقد عني بها العلماء والباحثون متقدمين منهم ومتأخرين، في سبيل الهداية وإصلاح النفوس امتثالا لأمر الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم بقوله: ﴿فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (سورة الأعراف، آية: ١٧٦).

والمنهج التربوي المتضمَن في القصص القرآني متناسق مع منهج القرآن المتكامل، ولعل من أفضل الأساليب التربوية وصولا إلى القلوب ما يُعرض في أسلوب قصصي ليؤثر وجدانيا ومتأثرا بالأحداث والمواقف المتنوعة والمتعددة حتى لو تكررت نفس القصة، يقول الباقلاني (د.ت): "وكذلك قد يتفاوت كلام الناس عند إعادة ذكر القصة الواحدة تفاوتاً بيناً ، ويختلف اختلافاً كبيراً ، ونظرنا القرآن فيما يعاد ذكره من القصة الواحدة فرأيناه غير مختلف ولا متفاوت بل هو على نهاية البلاغة وغاية البراعة، فعلمنا بذلك أنه مما لا يقدر عليه البشر" (ص ص ٣٧،٣٨).

ومن القصص القرآني في تربية النفوس واستقامتها وربطها بخالقها: قصة نبي الله سليمان عليه السلام وملكة سبأ والتي تضمنت كثيرا من القيم والفوائد والمبادئ التربوية في كثير من الجوانب كالتوحيد في الجانب العقدي، والتوبة والرجوع إلى الله تعالى في الجانب التعبدي، والتواضع في الجانب الأخلاقي، والأمانة في الجانب الإداري، والشورى في الجانب السياسي.

وفي ضوء ما سبق، تبرز من قصة سليمان عليه السلام وملكة سبأ في القرآن الكريم الكثير من المضامين التربوية التي ذكر الباحث بعضاً منها، وغيرها كثير يبين أهمية استنباط المبادئ والقيم التي تفيد المسلمين في كافة شؤون حياتهم.

ومن ثم، تحاول الدراسة الكشف عن المضامين التربوية المستنبطة من قصة سليمان عليه السلام وملكة سبأ في القرآن الكريم.

تساؤلات الدراسة :

يمكن صياغة تساؤلات الدراسة في الإجابة عن السؤال الرئيس الآتي:

- ما المضامين التربوية المستنبطة من قصة سليمان عليه السلام وملكة سبأ في القرآن الكريم؟

ويتفرع عن هذا السؤال، الأسئلة الفرعية التالية:

١- ما المضامين التربوية المستنبطة من قصة سليمان عليه السلام وملكة سبأ في القرآن الكريم في الجانب العقدي والتعبدي؟

٢- ما المضامين التربوية المستنبطة من قصة سليمان عليه السلام وملكة سبأ في القرآن الكريم في الجانب الأخلاقي؟

٤- ما المضامين التربوية المستنبطة من قصة سليمان عليه السلام وملكة سبأ في القرآن الكريم في الجانب الإداري والسياسي؟

٥- كيف يمكن الاستفادة من تلك المضامين التربوية المستنبطة من قصة سليمان عليه السلام وملكة سبأ في الواقع المعاصر؟

أهداف الدراسة :

تهدف هذه الدراسة إجمالاً إلى بيان أهم المضامين التربوية المستنبطة من قصة سليمان عليه السلام وملكة سبأ في القرآن الكريم، ويمكن تحديد أهداف الدراسة تفصيلاً في الكشف عن:

١- أهم المضامين التربوية المستنبطة من قصة سليمان عليه السلام وملكة سبأ في القرآن الكريم في الجانب العقدي والتعبدي.

٢- أهم المضامين التربوية المستنبطة من قصة سليمان عليه السلام وملكة سبأ في القرآن الكريم في الجانب الأخلاقي.

٣- أهم المضامين التربوية المستنبطة من قصة سليمان عليه السلام وملكة سبأ في القرآن الكريم في الجانب الإداري والسياسي.

٥- الاستفادة من المضامين التربوية المستنبطة من قصة سليمان عليه السلام وملكة سبأ في القرآن الكريم في الواقع المعاصر.

أهمية الدراسة :

تبرز أهمية الدراسة من خلال:

١- ارتباطها بالقرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

٢- دراستها للأسلوب القصصي كأحد الأساليب التربوية الإسلامية المحببة للنفس البشرية.

٣- ارتباط القصة القرآنية بالواقع، وصدقها، وخلوها من الخيال المعتمد عليه في كثير من القصص غير الدينية.

٤- إبراز قصة سليمان عليه السلام وملكة سبأ في القرآن الكريم لأهمية أمر العقيدة، وتصحيحها، والدفاع عنها.

٥- اهتمام القصص القرآني بالعبرة، وتهذيب النفس البشرية، وربطها بخالقها المنعم سبحانه.

٦- تعدد المواقف التربوية في القصة التي يستفيد منها المربي والمتربي، والعالم والمتعلم، والرئيس والمرؤوس.

منهج الدراسة :

تستخدم هذه الدراسة المنهج الاستنباطي ، ويعرف فودة وعبدالله (١٤١٠هـ) المنهج الاستنباطي في ميدان التربية بأنه: "الطريقة التي يقوم بها الباحث ببذل أقصى جهد عقلي ونفسي عند دراسة النصوص بهدف استخراج مبادئ تربوية مدعمة بالأدلة الواضحة" (ص٤٢).

وعلى هذا، قام الباحث بدراسة النص القرآني لقصة سليمان عليه السلام وملكة سبأ في القرآن الكريم من كتب التفسير المعتمدة، كتفسير الطبري، وابن كثير، وغيرهما من كتب أهل العلم، سواء كان ذلك في المجال الشرعي أو التربوي، ثم استخرج المضامين التربوية من القصة، وبعد ذلك قام بتصنيف

هذه المضامين وترتيبها حسب المجالات العقدية والتعبدية والأخلاقية والإدارية والسياسية، واضعا في اعتباره تحليل وتفسير ذلك من خلال القرآنية والنبوية وأقوال أهل العلم التي تتعلق بتلك المضامين.

حدود الدراسة :

تقتصر الدراسة الحالية على المضامين التربوية المستنبطة من قصة سليمان عليه السلام وملكة سبأ في القرآن الكريم كما وردت في سورة النمل من الآية ٢٠ إلى الآية ٤٤.

مصطلحات الدراسة :

١- المضامين:

المضامين في اللغة: جمع مضمون وهو ما يفهم فيها و لم يكن موضوعا بها (الفيرزآبادي، ١٤١٧ه، ص٦٩٨).

وفي الاصطلاح : "المحتوى التربوي للمعنى المراد الحديث عنه مما اشتملت عليه الآيات"(العمري، ١٤٢٣ه، ص٩).

التربوية: صفة للتربية، والتربية هي: "تنشئة وتكوين إنسان متكامل من جميع نواحيه المختلفة الصحية والعقلية والاعتيادية والروحية والأخلاقية والإدارية والإبداعية في جميع مراحل نموه في ضوء المبادئ والقيم التي أتى بها الإسلام وفي ضوء أساليب وطرق التربية التي أتى بها" (يالجن، ١٤٠٦ه، ص٢٦).

وتأسيسا على ما سبق، يمكن صياغة تعريف إجرائي لمفهوم المضامين التربوية لهذه الدراسة بأنها: ما احتوته آيات قصة سليمان عليه السلام وملكة سبأ في القرآن الكريم واشتملت عليه من مبادئ وقيم وفوائد تربوية يمكن استنباطها والاستفادة منها في الواقع المعاصر.

٢- الاستنباط:

الاستنباط لغة: "الاستخراج، فالفقيه يستخرج الفقه معتمداً في ذلك على الفهم والاجتهاد" (ابن منظور، ١٩٩٧، ج٨، ص٤٣٣).

وعرف الاستنباط اصطلاحاً بأنه:"استخراج المعاني من النصوص بفرط الذهن وقوة القريحة" (الجرجاني، ١٤٠٥ه، ص٣٨).

ويراد بالاستنباط في هذه الدراسة: "استخراج المضامين التربوية المتعلقة بالجوانب العقدية والتعبدية والأخلاقية والإدارية والسياسية من قصة سليمان عليه السلام وملكة سبأ في القرآن الكريم بعد النظر والتأمل وإعمال الفكر في تلك الآيات وتفسيرها من خلال أقوال أهل العلم فيها.

الدراسات السابقة :

باستقراء أدبيات البحث المرتبطة بموضوع الدراسة، وجد الباحث بعض الدراسات المتعلقة بقصة سليمان عليه السلام وملكة سبأ في القرآن الكريم كما وردت في سورة النمل، وهي:

الدراسة الأولى: دراسة سلوم (٢٠٠٦) بعنوان: سليمان عليه السلام في القرآن الكريم.

وهدفت هذه الدراسة إلى تتبع مواضع ذكر نبي الله سليمان عليه السلام في القرآن الكريم، والتعريف بشخصيته عليه السلام وملكه والمعجزات التي زوده الله تعالى بها، وتفنيد المزاعم التي نسبت إلى سليمان عليه السلام ودحضها. وقد استخدم الباحث المنهج التاريخي.

وتوصلت الدراسة إلى العديد من النتائج، من أبرزها:

- القرآن الكريم اهتم بالقصص القرآني، وأفرد مساحة واسعة له في السور والآيات، ووصفه بعدة صفات، وساقه لعدة أغراض تهدف إلى تعميق الإيمان، وتهذيب النفوس، والتفكر والاعتبار، وتثبيت الفؤاد على الدين.
- تحدث القرآن الكريم عن سليمان عليه السلام في سبع سور، وورد اسمه في القرآن الكريم سبع عشرة مرة، وأنه نبي كريم، وملك عظيم، عاش في بيت النبوة، ومن أبيه داود عليه السلام اكتسب الصفات التي أهلته لإقامة أعظم مملكة إيمانية في تاريخ بني إسرائيل.

و لم يقدم الباحث أي توصيات تختص بموضوع الدراسة.

وقد اختلفت هذه الدراسة في موضوعها الذي شمل جميع الآيات المتعلقة بسليمان عليه السلام في القرآن الكريم وفي هدفها الذي درس الآيات من ناحية تاريخية، أما الدراسة الحالية التي موضوعها سليمان عليه السلام وملكة سبأ في القرآن الكريم فقد ركزت على آيات القصة والتي وردت في سورة النمل وكان هدفها استنباط المضامين التربوية من قصة سليمان عليه السلام وملكة سبأ في القرآن الكريم.

الدراسة الثانية: دراسة جاد الله (١٤٢٧ه) بعنوان: تفسير القرآن بالقراءات العشر من خلال سور (النور-الفرقان-الشعراء-النمل).

هدفت هذه الدراسة إلى بيان ارتباط القراءات القرآنية بعضها ببعض، وإبراز أثرها في التفسير، وقد استخدم الباحث في دراسته المنهج التاريخي بالإضافة إلى المنهج الاستقرائي.

وخلصت هذه الدراسة إلى عدد من النتائج، من أبرزها:

- القراءات القرآنية لون من ألوان الإعجاز القرآني فكل قراءة سدت مسد آية من كتاب الله تعالى وهذا الإيجاز من الإعجاز.
- أن كثير من القراءات القرآنية أنتج أثراً في التفسير من ناحية المعنى والأسلوب، كما أنها حفظت على المسلمين ما لم يحفظه غيرها، إلى جانب كونها مادة غنية لعلوم اللغة العربية.

وقد أوردت الدراسة بعض التوصيات، من أبرزها:

- الاستمرار في البحث والتفسير في القراءات القرآنية حتى لتلك التي تم تفسير القرآن بها؛ لأن كلمات الله تعالى لا نهاية لمعانيها، وقد يقف كل باحث على جانب أو معنى لم يقف عليه غيره.

- تعليم القراءات للمراحل التعليمية والجامعية القابلة لذلك للقضاء على الأمية في اللغة العربية وللعودة بالأمة إلى لغة القرآن.

قد كان تركيز هذه الدراسة على جانب القراءات والتفسير في عدة سور من ضمنها سورة النمل التي وردت فيها آيات قصة سليمان عليه السلام وملكة سبأ، أما الدراسة الحالية فقد اهتمت باستنباط المضامين التربوية من قصة سليمان عليه السلام وملكة سبأ والتي وردت في سورة النمل.

الدراسة الثالثة: الزهراني (١٤٢٧هـ) بعنوان: اختيارات أبي جعفر النحاس في التفسير من أول سورة الحجر إلى آخر سورة النمل.

هدفت هذه الدراسة إلى استعراض المسائل التي فيها رأي جلي، واختيار واضح لأبي جعفر النحاس، من أول سورة الحجر إلى آخر سورة النمل، حسب ترتيب المصحف، وقد استخدم الباحث في دراسته المنهج التاريخي بالإضافة إلى المنهج الاستقرائي.

وخلصت هذه الدراسة إلى نتائج، من أبرزها:

- تقدم النحاس رحمه الله تعالى وتميزه في علوم وفنون شتى فقد كان إماماً في اللغة، عالماً بالتفسير، واسع المعرفة بأقوال أهل العلم من السلف في تأويل القرآن الكريم ومعانيه.

- إن النظر في أقوال العلماء ودراستها، والمقارنة بينها؛ بالنظر في أدلة كل قول، ومدى قوته ورجحانه على غيره، ينمي في الطالب ملكة مناقشة الآراء المختلفة، وسبر أغوارها، وتحقيق صحيحها من سقيمها.

وقد كان تركيز هذه الدراسة على شخصية أبي جعفر النحاس واختياراته في التفسير في عدة سور من ضمنها سورة النمل التي وردت فيها آيات قصة سليمان عليه السلام وملكة سبأ، أما الدراسة الحالية فقد اهتمت باستنباط المضامين التربوية من قصة سليمان عليه السلام وملكة سبأ والتي وردت في سورة النمل.

وبالإضافة إلى تلك الدراسات التي تناولت قصة سليمان عليه السلام وملكة سبإ في القرآن الكريم هناك العديد من الدراسات التربوية التي تناولت الكشف عن المضامين التربوية المستنبطة من القصص القرآني ومنها على سبيل المثال لا الحصر:

- دراسة الرحيلي (١٤٢٠هـ) بعنوان: بعض المبادئ التربوية المستنبطة من قصة يوسف عليه الصلاة والسلام.
- دراسة الدبيسي (١٤٣١هـ) بعنوان: المضامين التربوية المستنبطة من سورة القلم وتطبيقاتها التربوية.
- دراسة الزايدي (١٤٣٣هـ) بعنوان: المضامين التربوية المستنبطة من قصة قارون مع قومة وتطبيقاتها في الأسرة المسلمة.

وحيث أن الدراسات جميعا تهدف إلى استنباط قيم ومبادئ ومضامين من القرآن الكريم فقد اتفقت الدراسة الحالية مع دراسة الرحيلي في مضمون الشكر، ومضمون الصدق، واتفقت مع دراسة الزايدي في استباط المضامين التربوية في الجانب العقدي والجانب الأخلاقي، واتفقت مع دراسة الدبيسي في استنباط المضامين التربوية في الجانب التعبدي والجانب الأخلاقي.

واختلفت الدراسة الحالية عن الدراسات السابقة باستنباط المضامين التربوية في الجانب الإداري والسياسي.

الفصل الثاني
قصة سليمان عليه السلام وملكة سبأ في القرآن الكريم

المبحث الأول : التعريف بنبي الله سليمان عليه السلام

المبحث الثاني : التعريف بملكة سبأ

المبحث الثالث : قصة سليمان عليه السلام وملكة سبأ في القرآن الكريم

الفصل الثاني: قصة سليمان عليه السلام وملكة سبأ في القرآن الكريم

مقدمة:

إن الوقوف على الأحوال الماضية وتاريخ الأمم، يحصن أبناء الأمة، ويضيف إلى تجارهم دروس وعظات، يستجلبون من خلال مدارستها المنافع، ويحترزون من الوقوع في أمثال ما وقع فيه السابقون من المضار، ويقول في ذلك ابن خلدون رحمه الله:"اعلم أن فن التاريخ فن غزير المذاهب، جم الفوائد، شريف الغاية، إذ هو يوقفنا على أحوال الماضين من الأمم في أخلاقهم، والأنبياء في سيرهم، والملوك في دولهم وسياستهم، حتى تتم فائدة الاقتداء في ذلك لمن يرومه في أحوال الدنيا والدين" (ابن خلدون، ١٩٨٥، ج١، ص٢٩١).

وقد حث رب العزة والجلال على الاعتبار بآثار الأمم السابقة وأحوالهم، فذكر في الكتاب العزيز كثيراً من أخبار الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، منهم من فصلت قصته كيوسف عليه السلام، ومنهم من زيد على تفصيلها بالتكرار، حسب السياق القرآني كقصة موسى عليه السلام، ومنهم من ذكر حاله مع قومه دون تفصيل كإلياس عليه السلام.

وقد وردت قصة سليمان عليه السلام مع ملكة سبأ في القرآن الكريم ضمن آيات سورة النمل في تصوير بديع لأحداث تبث في نقس المتدبر لها عظمة الإسلام، وعزة المتمسك به.

وهذه القصة كغيرها من قصص القرآن الكريم مليئة بالمبادئ والمواقف التربوية التي يستفيد منها الفرد، والمجتمع، وفي هذا الفصل تناول الباحث التعريف بنبي الله سليمان عليه السلام، والتعريف بملكة سبأ رحمها الله تعالى، وسردا لقصة سليمان عليه السلام وملكة سبأ كما وردت في القرآن الكريم.

المبحث الأول: التعريف بنبي الله سليمان عليه السلام

أولاً: نسب سليمان عليه السلام

سليمان عليه السلام هبة الله تعالى لداود عليه السلام، وأحد أنبياء بني إسرائيل واسمه "سليمان بن داود بن ايشا بن عويد بن عابر بن سلمون بن نحشون بن عمينا داب بن ارم بن حصرون بن فارص بن يهوذا بن يعقوب بن إسحق بن إبراهيم" (ابن كثير، ١٤٠٨ه، ج٢، ص٢٢). نبي ملك ابن نبي ملك، من ولد يعقوب بن إسحق بن إبراهيم عليهم الصلاة والسلام.

ثانياً: ملك سليمان عليه السلام وعلمه

أكرم الله تعالى نبيه سليمان عليه السلام بملك عظيم "امتد من بيت المقدس إلى أقاصي بلاد اليمن، ودانت له الملوك والأمراء"(الصابوني، ١٤٣٢ه، ص٣٧١). أقام العدل فيهم، ونشر دين الله تعالى، وأخرج بإذن الله تعالى الممالك الكافرة من الظلمة إلى نور التوحيد.

واختصه الله تعالى بنعم كثيرة، ومعجزات عظيمة لم تعط لأحد من بعده، فقد دعا الله تعالى أن يؤتيه مُلكاً لا ينبغي لأحد من العالمين، **قَالَ تَعَالَىٰ:**﴿ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِيٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴾ (سورة ص: آية٣٥). فاستجاب الله تعالى دعاءه، فوهبه من أسباب الملك ومن أسباب القهر ما لم يؤته أحدا ممن خلق، ومما أنعم الله عز وجل على نبيه سليمان عليه السلام وميزه به:

١- إيتاؤه الحكمة وحسن القضاء: ، **قَالَ تَعَالَىٰ:**﴿ وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ ﴾ (سورة الأنبياء: الآيتان٧٨ – ٧٩). هيأ الله تعالى سليمان عليه السلام ليكون ملكاً على بني إسرائيل بعد أبيه، فوهبه الحكمة وبين فطنته، وأعلى من شأن فهمه وقضائه.

٢- وراثة ملك وعلم داود عليه السلام: **قَالَ تَعَالَىٰ:**﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴾ (سورة النمل: آية١٦).بعد وفاة النبي داود عليه السلام "ورث سليمان علم داود وملكه"(الأزدي، ١٤٢٤ه، ج٢، ص٤٧٢). فضم إلى علمه وفهمه الذي وهبه الله تعالى إياه علم أبيه نبي الله داود عليه السلام، واختصه الله تعالى بالعلم والملك والنبوة من بين أبناء داود عليه السلام التسعة عشر (البغوي، ١٤١٧ه، ج٦، ص١٤٨). فكان أحق أولاد داود عليه السلام بذلك لما سبق به من العلم في حياة أبيه.

٣- تعليمه منطق الطير والحيوانات: فكان عليه السلام يفقه من قولها ما لا يفقهه سائر الناس، ويتكلم معها ويحاورها، "كما راجع الهدهد وراجعه، وكما فهم قول النملة للنمل" (السعدي، ١٤٣٢ه، ص٦٠٢).

٤- تسخير الريح تجري بأمره: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلِسُلَيْمَـٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا ۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَىْءٍ عَـٰلِمِينَ ﴾ (سورة الأنبياء: آية٨١). فكان عليه السلام يصرفها حيث شاء، ويوجهها حسب المصالح التي يقدرها.

٥- تسخير الشياطين يعملون له ما يشاء: فالشياطين تملك من القدرات ما لا يملكه غيرها من المخلوقات، فسخرهم للعمل في البحر لاستخراج ما فيه من كنوز كاللؤلؤ والمرجان، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمِنَ ٱلشَّيَـٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَكُنَّا لَهُمْ حَـٰفِظِينَ ﴾ (سورة الأنبياء: آية٨٢). وتكفل الله تعالى بحفظهم له من أن يفسدوا أو يتمردوا، وسخر سليمان عليه السلام الشياطين في البر للبناء والتشييد وصناعة ما يشاء، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَـٰرِيبَ وَتَمَـٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَـٰتٍ ۚ ﴾ (سورة سبأ: آية١٣). فكانوا في العمل الشاق، لا يقدرون على الخروج منه.

٦- إذابة النحاس وخروجه كالماء من الأرض: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلِسُلَيْمَـٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ۖ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ ۖ ﴾ (سورة سبأ: آية١٢). "فكما ألان لداود الحديد للصناعة أجرى لسليمان عين النحاس لصناعته فيصنع ما شاء من آلات وأدوات النحاس" (الجزائري، ١٤١٢ه، ج٣، ص٣١٥).

٧- جمع جيش له من الجن والإنس والطير: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَـٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴾ (سورة النمل: آية١٧). "جمع له جنوده الكثيرة الهائلة المتنوعة من بني آدم، ومن الجن والشياطين ومن الطيور فهم يوزعون يدبرون ويرد أولهم على آخرهم، وينظمون غاية التنظيم في سيرهم ونزولهم وحلهم وترحالهم" (السعدي، ١٤٣٢ه، ص٦٠٢).

جيش عظيم يزرع الرهبة في قلوب أعدائه، حوى جندا ليسوا في أي جيش فالجن والإنس تظلهم الطير، عليه وزعة ينظمون شؤونه فلا يختل ترتيبه ولا يتقدم جندي عن المترلة المخصصة له.

ثالثا: فتنة سليمان عليه السلام

أخبر الله سبحانه وتعالى عن ابتلاء حصل لنبيه سليمان عليه السلام، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَـٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴾ (سورة ص: آية٣٤). و لم يفصّل المولى عز وجل تلك الفتنة

وماهية الجسد الذي ألقي على كرسيه مما دعى ببعض المفسرين إلى نقل ما لم يثبت من الأحاديث والآثار، والاستشهاد بالروايات الإسرائيلية التي لا تليق بالأنبياء عليهم صلوات الله وسلامه، ويعلق على ذلك الإمام ابن حزم رحمه الله بقوله: "فلا يحل لأحد القول بالظن الذي هو أكذب الحديث في ذلك فيكون كاذبا على الله عز وجل، إلا أننا لا نشك البتة في بطلان قول من قال انه كان جنيا تصور بصورته بل نقطع على أنه كذب، والله تعالى لا يهتك ستر رسوله صلى الله عليه وسلم هذا الهتك، وكذلك نبعد قول من قال انه كان ولداً له أرسله إلى السحاب ليربيه، فسليمان عليه السلام كان أعلم من أن يربي ابنه بغير ما طبع الله عز وجل بُنيَة البشر عليه من اللبن، والطعام، وهذه كلها خرافات موضوعة مكذوبة لم يصح اسنادها قط" (ابن حزم، ١٤١٦ه، ج٤، ص٤٢).

ولعل أقرب تأويل لفتنة سليمان عليه السلام والجسد الذي ألقي على كرسيه ما ورد في الحديث الصحيح، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:"قال سليمان بن داود عليهما السلام: لأطوفن الليلة على مائة امرأة، أو تسع وتسعين، كلهن يأتي بفارس يجاهد في سبيل الله، فقال له صاحبه: إن شاء الله، فلم يقل إن شاء الله، فلم يحمل منهن إلا امرأة واحدة، جاءت بشق رجل، والذي نفس محمد بيده لو قال: إن شاء الله، لجاهدوا في سبيل الله فرسانا أجمعون" (البخاري، ١٤٢٢ه، ج٤، حديث رقم ٢٨١٩، ص٢٢). وقد ذهب بعض المفسرين إلى أن المراد من هذه الآية يوافق ما جاء في الحديث الصحيح، وأن "فتنة سليمان كانت بسبب تركه قوله إن شاء الله، وأنه لم يلد من تلك النساء إلا واحدة نصف إنسان، وأن ذلك الجسد الذي هو نصف إنسان هو الذي ألقي على كرسيه بعد موته" (الشنقيطي، ١٤١٥ه، ج٣، ص٢٥٤). فلما رأى سليمان ذلك رجع إلى ربه وأناب، دون الخوض في غيره من الأقوال.

رابعاً: وفاة سليمان عليه السلام

لكل بداية نهاية، ونهاية الإنسان في الدنيا هي الموت، مهما بلغ سلطانه، وعلا شأنه، فلما كتب الله تعالى الموت على سليمان عليه السلام خُيِّر بين الدنيا والآخرة، فاختار الدار الآخرة ولقاء ربه عز وجل، وترك الدنيا وما سخره الله تعالى له لعلمه عليه السلام أنها لا تساوي عند الله تعالى جناح بعوضة.

"عاش سليمان عليه السلام اثنان وخمسون سنة، ولبث في الملك أربعون سنة... وكان أمر وفاته حدثا غريبا" (الصابوني، ١٤٣٢ه، ص٣٧٦). فقد قبضت روحه عليه السلام وهو متكئ على عصاه، وبقي الجن زمنا في تلك الأعمال الشاقة، خوفا ورهبة منه عليه السلام حتى أكلت دابة الأرض من عصاه، فسقط عليه السلام وعلمت الجنّ والإنس بموته، **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ ۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟

فِي ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴾ (سورة سبأ: آية١٤). وتيقن الإنس أن الجنّ لا يعملون الغيب وأنهم كانوا يكذبون، لأنهم ظلوا في العمل المهين زمنا و لم يعلموا بموت سليمان عليه السلام.

المبحث الثاني: التعريف بملكة سبأ

أولاً: نسب ملكة سبأ رحمها الله تعالى

"بلقيس بنت الهدهاد بن شرحبيل، من بني يعفر بن سكسك، من حمير" (الزركلي، ٢٠٠٢، ج٢، ص٧٣). وقد أورد بعض المؤرخين والمفسرين قصصا تربط بينها وبين الجنّ، وتعظم من شأن جيشها وعدده وعتاده، "والجميع حديث خرافة لا أصل له ولا حقيقة" (ابن الأثير، ١٤٠٧ه، ج١، ص١٧٧).

ثانياً: مملكة سبأ

إحدى الممالك القديمة التي تقع جنوب الجزيرة العربية، "قامت على أنقاض معين وقتبان، وانضمت لها حضرموت، وكانت عاصمتها مأرب" (العسيري،١٤١٧ه، ص٤٢). فكانت مساحتها أكبر مما سبقها من الممالك.

تمتاز المناطق الجنوبية من الجزيرة العربية بخصوبة الأرض وانتشار الخضرة، وكذلك "سبأ كانت من أخصب أرض اليمن، وأثراها وأغدقها، وأكثرها جنانا وغيطانا، وأفسحها مُرُوجاً، مع بنيان حسن وشجر مصفوف، ومساكب للماء متكاثفة، وأنهار وأزهار متفرقة... وأن الراكب والمار كان يسير في تلك الجنان من أولها إلى أن ينتهي إلى آخرها تواجهه الشمس ولا تعارضه؛ لاستتار الأرض بالعمارة الشجرية، وكان أهلها في أطيب عيش وأرفهه، وفي نهاية الخصب، وطيب الهواء، وصفاء الفضاء، وتدفق الماء، وقوة الشوكة، واجتماع الكلمة" (المسعودي، ١٩٨٩، ج١، ص٢٤٠).

ولعل استمرار ذكرها واشتهار أمرها يعود لسببين رئيسيين، الأول: قصة سليمان عليه السلام مع ملكة سبأ، والتي وردت في القرآن الكريم وخلدت ذكر سبأ وملكتهم بلقيس، والتي نُسجت حولها كثير من الأقاويل، والثاني: سد مأرب العظيم الذي كان يحفظ سيل العرم ثم تهدم عقابا من الله تعالى على بطرهم النعمة، فتمزقت قبائل اليمن في الجزيرة العربية وما حولها، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا۟ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا۟ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَىْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُوا۟ وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ ﴿١٧﴾ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَٰهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ سِيرُوا۟ فِيهَا لَيَالِىَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ﴿١٨﴾ فَقَالُوا۟ رَبَّنَا بَٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَٰهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ (سورة سبأ: الآيات١٥-١٩). وصف الله سبحانه وتعالى النعم التي منّ بها على سكان سبأ من أمن وأمان، ورغد عيش، وجعلهم علامة على قدرته سبحانه ، وإفضاله على عباده، فكان لهم

"جنتان عن يمين الوادى وأخرى عن شماله كلها فواكه وخضر، تسقى بماء سد مأرب" (الجزائري، ١٤١٢ه، ج٣، ص٣١٧). فلا يخشون الجوع والقحط.

وجعل الله القرى متقاربة، "يظهر بعضها من بعضها لقربها وتلاحمها، فلا يكاد المسافر يبرح مدينة حتى تبدو له أعلام الأخرى، ولا يكون هذا إلاّ إذا كان العمران متصلاً، وهذا هو معنى الظهور في الآية فهو ظهور خاص" (ابن باديس، ١٤١٦ه، ص٣٩٩). فالأمن منتشر داخل القرى لأهلها، وخارجها لمن يتنقل بين القرى للتجارة وغيرها، وهذا من تمام نعمة الله تعالى.

وقد ذكر الله سبحانه وتعالى وصْف الهدهد لما رآه في مملكة سبأ، **قَالَ تَعَالَى**:﴿إِنِّي وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴾(سورة النمل: آية٢٣). فمن يحكم بلدة آمنة مطمئنة، لا يحمل أهلها همّ الرزق والسعي له، مستقرون لا يترحلون بحثا عن الماء، في ظل ورغد، فقد أوتيت من كل شيء.

تكفل الله سبحانه وتعالى بكل ما يحتاجه أهل سبأ، و لم يطلب منهم إلا شكر النعمة بتوحيد العبادة له سبحانه، وكان جزاء سبأ من جنس كفرهم بالنعمة، "فأرسل الله عليهم المياه الكثيرة، فحطمت سد مأرب، فملأ الماء الوادي، وأغرق البساتين، ودمّر البيوت، وأبدلهم الله بتلك البساتين الغناء بساتين لا خير فيها" (الزحيلي، ٢٠٠٠، ج٣، ص٢١٠٣). وسألوا الله تعالى أن يباعد بين أسفارهم و لم يشكروا النعمة التي أنعم بها عليهم، فأصبحوا أحاديث، وتمزق شملهم وتفرقوا، وانتهت مملكتهم.

المبحث الثالث: قصة سليمان عليه السلام وملكة سبأ في القرآن الكريم

قص القرآن الكريم قصة سليمان عليه السلام مع ملكة سبأ في بيان إلهي يظهر سعة ملك نبي الله سليمان عليه السلام، وتطويعه لما أمده الله عز وجل به من معجزات في سبيل الله تعالى، مع حسن إدارة لعظيم ما سخره الله تعالى له، ومما أبرزته قصة سليمان عليه السلام مع ملكة سبأ –حسب ترتيب آيات القصة– في سورة النمل ما يلي:

١– تفقد الجند: تبدأ أحداث القصة القرآنية بغياب جندي من الطير عن الجيش، وتفقد القائد بنفسه للجند على كثرة عددهم، وتعدد أنواعهم، ووجود الوزعة الذين ينظموهم، في حزم يزرع الهيبة والانضباط في نفوس الجميع، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ﴾ (سورة النمل: آية٢٠).استعرض الطير وفقد الهدهد فيهم، فبدأ باتهام نظره عليه السلام حتى لا يتسرع في الحكم تأنيا، ثم تيقن لغيابه فأصدر بيانه، ﴿ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ ﴾ (سورة النمل: آية٢١). فكانت شدة العقوبة لقلة شأن العاصي وعظم شأن الحاكم، ولكن حكمته عليه السلام، وعدله، وخوفه من الله تعالى ، جعل للهدهد مخرجا إن أتى بعذر بين، وحجة تبرر تخلفه، ﴿أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴾ (سورة النمل: آية٢١). فالقائد الناجح هو من يتخذ من التأني والتروي ديدناً له، والتبين والتثبت شعاراً.

وقد ذهب بعض المفسرين إلى أن سليمان عليه السلام "تفقد الهدهد من أجل أنه كان يدله على الماء إذا ركب، وإن سليمان ركب ذات يوم فقال: أين الهدهُد ليدلنا على الماء؟ فلم يجده؛ فمن أجل ذلك تفقده" (الطبري، ١٤٢٠ه، ج١٩، ص٤٤٢). وهذا مما لا يليق بسليمان عليه السلام، الذي ظهر حزمه وعزمه، وحسن تدبيره لجنده، بأن يخرج في مسير دون أن تكون للجيش مؤونة تكفيه.

أما المحققين من المفسرين فقد أنكروا على القائلين بأن سليمان عليه السلام تفقد الهدهد لأجل الماء، وذكر ابن سعدي رحمه الله أسباب بطلان هذا التأويل بقوله:"عرف بالعادة والتجارب والمشاهدات أن هذه الحيوانات كلها، ليس منها شيء يبصر هذا البصر الخارق للعادة، ولو كان كذلك لذكره الله لأنه من أكبر الآيات، ولو أريد هذا المعنى لقال:وطلب الهدهد لينظر له الماء فلما فقده قال ما قال، أو فتش عن الهدهد... وأيضا فإن سليمان عليه السلام لا يحتاج ولا يضطر إلى الماء بحيث يحتاج لهندسة الهدهد، فإن عنده من الشياطين والعفاريت ما يحفرون له الماء، ولو بلغ في العمق ما بلغ. وسخر الله له الريح غدوها شهر ورواحها شهر" (السعدي، ١٤٣٢ه، ص٤٢٣). وهذا أقرب في حق نبي الله سليمان عليه السلام.

٢- الهدهد يقدم أسباب الغياب: حضر الهدهد بعد أن أصدر الحكم النبوي، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴾ (سورة النمل: آية٢٢). أقبل الهدهد بسلطان العلم يدفع عن نفسه الوعيد بالذبح والتعذيب، فخاطب سليمان عليه السلام قائلاً: "اطلعت على شيء لم تطلع أنت عليه، وعرفته من جميع نواحيه، وقد أتيتك من بلدة سبأ بخبر خطير، ذي شأن عظيم تيقنته غاية اليقين" (ابن باديس، ١٤١٦ه، ص٢٧٠). فلم تكن الغيبة تصغيرا من شأنك أو عصيانا لأمرك، فما رأيته عجيبٌ غريب، ﴿إِنِّى وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴾ (سورة النمل: آية٢٣). فالحاكم امرأة، ولديها مملكة متكاملة، وملكت مما لدى الملوك من السلطان والقوة والحاشية، وعرشها عظيم، وليس هذا ما يؤخرني عن خدمتك، ولكن الأدهى ما رأيت، ﴿ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ (سورة النمل: الآيات ٢٤-٢٦). أعظم ما راع الهدهد رؤية غير الله تعالى يعبد من دونه سبحانه، والله تعالى هو المنعم المتفضل الذي يعلم الغيب في السماوات والأرض ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، ولا شريك له كلٌ له عبد، ولكن ذلك من عمل الشيطان الذي زيّن لهم عبادة الشمس فضلوا عن الفطرة السليمة وطريق الهداية.

٣- الهدهد رسول نبي الله سليمان عليه السلام: قَالَ سليمان عليه السلام:﴿سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ (سورة النمل: آية٢٧). سنتأمل فيما نقلت لعلك تكون قد كذبت، أو أخطأت، لعل في الأمر التباس فالخبر عجيب. وإن كان سليمان عليه السلام يأتيه الخبر من السماء ويعلم أن الهدهد صادق، لكنه قائد يربي جنده على أن يتخذوا التروي في إصدار الأحكام والتثبت والتبين قبل التصديق والتسليم بالأخبار وتحري الدقة عند سماع أي أمر، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ٱذْهَب بِّكِتَٰبِى هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴾ (سورة النمل: آية٢٨). تحرك القائد وكتب كتابا وأمر صاحب الخبر الذي أصبح رسولا وعينا لسليمان عليه السلام في مملكة سبأ.

و لم يكتف بإرساله وإنما كلفه بمهام أخرى فقد علم همته وغيرته على دين الله، وعلمه أدب الرُسُل بأن يتأخر عن القوم حتى يتداولوا الأمر بينهم ويتشاوروا بما فيه مصلحتهم، ثم لينقل له ما استقروا عليه.

٤- إدارة الأزمة في مملكة سبأ: أصبح الأمر واقعا بين يدي الملكة، ﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ (٢٩) إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ (٣٠) أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ (سورة النمل: الآيات٢٩-٣١). وصل الهدهد وألقى بالرسالة، فجمعت مستشاريها وكبار دولتها لتعرض عليهم الأمر، فبدأت بالثناء على الكتاب ووصفته بالكريم، لعجيب ما رأت من وصوله إليها، ولكرامة الملك الذي أرسله عليه السلام.

أخبرت عن المرسل أنه سليمان عليه السلام، ونص الكتاب بسم الله الرحمن الرحيم، ألا تعلو عليّ وأتوني مسلمين، كلمات بليغة توصل المراد دون تكلف ليفهم المتلقي الأمر، ودلالة على ثقة وقوة لدى الآمر، وذكر بعض المفسرين أن نص الكتاب ابتدأ باسم سليمان عليه السلام ثم البسملة، لكن الصحيح أنه "ابتدأ ببسم الله الرحمن الرحيم، وإنما ذكرت بلقيس أن هذا الكتاب من سليمان، ثم ذكرت ما في الكتاب فقالت: وإنه بسم الله الرحمن الرحيم" (الخازن، ١٤١٥ه، ج٣، ص٣٤٥). فلم يكن لنبي أن يقدم اسمه على اسم الله سبحانه وتعالى.

ومن عقلها وحكمتها طلبت مشورتهم في الأمر الجلل، ثم "زادت في التأدب، واستجلاب خواطرهم ليمحضوها النصح، ويشيروا عليها بالصواب"(القنوجي، ١٤١٢ه، ج١٠، ص٤٠). فقالت كما أخبر الله تعالى على لسانها: ﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ﴾ (سورة النمل: آية٣٢). وحتى يتحمل المستشار أمانة إبداء الرأي فيحمل نصيبه في المسؤولية.

أعلن الملأ من قومها الرأي فهم على استعداد للحرب، ولديهم القوة والقدرة على القتال، ثم تركوا الأمر لها حتى تختار ما تشاء باطمئنان، ودون خوف من سليمان عليه السلام، وإقرارا منهم بعقلها وحكمتها، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قَالُوا نَحْنُ أُولُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ (٣٣) قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ (٣٤) وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾ (سورة النمل: الآيات٣٣-٣٥). صرحت الملكة إلى ما يمكن أن تؤول إليه النتائج إن خسروا الحرب، وأفعال الملوك إن انتصروا وتمكنوا فالخراب والقتل هو ما ينتظر الناس عموما، والهوان والذل ما سينتهي إليه أشراف القوم وسادتهم.

بعدما قدمت النتائج أبدت الرأي بإيثار السلامة، ومعرفة العدو قبل الإقدام على أي فعل، فقالت:"سأبعث إليه بهدية تليق به وأنظر ماذا يكون جوابه بعد ذلك، فلعله يقبل ذلك ويكف عنا، أو يضرب علينا خَرَاجا نحمله إليه في كل عام، ونلتزم له بذلك ويترك قتالنا ومحاربتنا" (ابن كثير، ١٤٢٠ه، ج٦، ص١٨٩). وكان رأيها أكثر صوابا وحزما من رأيهم.

٥- وصول وفد ملكة سبأ: انتقلت الآيات إلى مملكة سليمان عليه السلام، فقد أتم الهدهد المهمة، وأخبر بما رأى، وبعد ذلك أتى الوفد بالهدايا، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَلَمَّا جَآءَ سُلَيْمَٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٣٦﴾ ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ أَذِلَّةً وَهُمْ صَٰغِرُونَ﴾ (سورة النمل: الآيات٣٦-٣٧). رفض سليمان عليه السلام هديتهم فليس إلا رشوة لتحييد سليمان عليه السلام عن عزمه، لكن ما وهب الله تعالى سليمان عليه السلام، وسخره له يفوق كل ما يمكن أن يتصوره العقل، ولا يمكن أن يبيع دينه بعرض من الدنيا مهما بلغ، فاستصغار شأن الدعوة من جهة قوم سبأ نقل الخطاب من مجرد أمر إلى وعيد شديد، قائلا:"إن الله أعطاني خيرا كثيرا مما أعطاكم، وهو النّبوة، والملك الواسع العريض... وإنما أنتم الذين تنقادون لمؤثرات الدنيا وزخارفها، وتنقادون للهدايا وسحرها، وتفرحون بها، ولست طالبا للدنيا الزائلة، وإنما أطالبكم بتوحيد الله والإقرار بوجوده، وترك عبادة الشمس، ولا أقبل منكم إلا الإسلام الذي هو الخضوع لله تعالى، أو الاحتكام إلى الحرب والقتال" (الزحيلي، ١٤٢٢ه، ج٢، ص١٨٧٥). فلا تنازل عن العقيدة ولا مساومة عليها.

٦- العرش بين يدي سليمان عليه السلام: علم سليمان عليه السلام بقدومهم واستسلامهم بعد أن تيقنوا من صدق وقوة الداعي، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ۖ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ﴾ (سورة النمل: الآيات٣٨-٤٠). توجه سليمان عليه السلام إلى وزرائه وخاصته من الجن والإنس والطير مختبرا لهم، سائلا عمن يستطيع إحضار عرش ملكة سبأ قبل أن يأتوا طائعين، فكان أول المتطوعين لأداء المهمة عفريت من الجنّ، قال: أنا آتيك به قبل أن تقوم من مجلسك، "قال ابن عباس: وكان له في الغداة مجلس يقضي فيه إلى متسع النهار وقيل نصفه، وإني على حمله قوي، أمين على ما فيه من الجواهر وغيرها"(الخازن، ١٤١٥ه، ج٣، ص٣٤٧). رأى سليمان عليه السلام أن ذلك وقت طويل، عندئذ قال الذي عنده علم من الكتاب: أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك، وما هي إلا لحظة خاطفة حتى كان العرش الثمين بين يدي النبي الكريم عليه السلام، "ولابد أن يكون طرفه قد ارتد في أقل من ثانية بعد أن قال ذلك ، ولهذا نجد القرآن يورد ما حدث على الفور فيقول : ﴿فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ﴾" (الشعراوي، ١٩٩٩، ص٣٠٠٠).

شكر سليمان عليه السلام ربه سبحانه وتعالى على تيسير الأمور له، وعلم أن ذلك اختبار من الله تعالى فأعاد الفضل لصاحب الفضل جلّ وعلا ولم يغترّ عليه السلام بملكه وسلطانه وقدرته، ثم بيَّن أن هذا الشكر لا ينتفع الله به، وإنما يرجع نفعه إلى صاحبه، لأن الله غني عن عباده كريم كثير الخير، يعمُّ به الشاكر والكافر إلا أن شكر النعمة داع للمزيد منها، وكفرها داع لزوالها.

وذكر بعض أهل التأويل أن مراد سليمان عليه السلام من طلب عرشها رغبته في امتلاكه، "وكان قد ذكر له عرشها فأعجبه، وكان من ذهب، وقوائمه لؤلؤ وجوهر، وكان مسترًا بالديباج والحرير، وكانت عليه تسعة مغاليق، فكره أن يأخذه بعد إسلامهم، وقد علم نبي الله أنهم متى أسلموا تحرم أموالهم مع دمائهم" (ابن كثير، ١٤٢٠ه، ج٦، ص١٩١). وهذا مما لا يصح في حق نبي اصطفاه الله تعالى، ووهب له من الملك ما يفوق ملك أهل الأرض قاطبة، ولكن الصحيح ما ورد في القرآن الكريم أن سليمان عليه السلام أراد أن يختبر عقل المرأة التي حكمت مملكة سبأ فغير في صورة عرشها، **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿قَالَ نَكِّرُواْ لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِيٓ أَمْ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ﴾ (سورة النمل: آية٤١). فإن مشورتها كما أخبر بها الهدهد، وما قررته من إرسال الهدايا لتتعرف على الملك الذي يأمرها بالخضوع له، أمر عجيب يدعو نبي الله سليمان عليه السلام أن يفعل معها ذلك.

٧- ملكة سبأ عند سليمان عليه السلام: وصل وفد مملكة سبأ وفيهم الملكة ليعلنوا الطاعة لسليمان عليه السلام، فعرض عليها عرشها وقد غير فيه ونكره عليها، قال: أهكذا عرشك؟. فأظهرت الإجابة ثباتها وعقلها ودهاءها وحزمها، "قال عكرمة: كانت حكيمة، قالت: إن قلت هو هو، خشيت أن أكذب، وإن قلت: لا، خشيت أن أكذب، فقالت: كأنه هو"(الشوكاني، ١٤١٥ه، ج٤، ص١٧٤). وما أوتي سليمان عليه السلام من العلم والحكمة والملك والنبوة خير مما أُعطيت، وكفى بالإسلام فضلا.

علم سليمان عليه السلام أنها تملك من العقل والحكمة ما تميز به بين الحق والباطل، وأن هناك أمرا حال بينها وبين الإيمان بالله عز وجل إلها واحدا لا شريك له، وأخبر الله تعالى عن ذلك الأمر، **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَٰفِرِينَ﴾ (سورة النمل: آية٤٣). فإن "العقائد الباطلة تذهب بصيرة القلب...، وانفراد الواحد عن أهل الدين والعادة المستمرة بأمر يراه بعقله من ضلالهم وخطئهم من أندر ما يكون فلهذا لا يستغرب بقاؤها على الكفر" (السعدي، ١٤٣٢ه، ص٤٠٣).

٨- إسلام ملكة سبأ: **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِي ٱلصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُۥ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ (سورة النمل: آية٤٤). أمر سليمان عليه السلام بعمل بناءٍ عال من الزجاج ليريها عظمة

التوحيد وما يعطيه سبحانه للشاكرين من ملك وتمكين، بناء عظيم "عملته له الشياطين من زجاج، كأنه الماء بياضا، ثم أرسل الماء تحته، ثم وُضِع له فيه سريره فجلس عليه، وعكفت عليه الطير والجن والإنس، ثم قال: ادخلي الصرح، ليريها ملكا هو أعز من ملكها، وسلطانا هو أعظم من سلطانها" (ابن كثير، ١٤٢٠ه، ج٦، ص١٩٥). فلما رأته حسبته ماء فكشفت عن ساقيها، فأخبرها أنه صرح ممرد من زجاج، حينها رأت الحقيقة الساطعة التي كانت محجوبة عنها، وتيقنت أن من أعطى سليمان عليه السلام وسخر له الجنّ والإنس والطير، رب عظيم قادر على كل شيء، وأن ملكها لا يساوي شيئا أمام الهداية للحق، فندمت على عبادتها للشمس وأسلمت لله سبحانه وتعالى مع سليمان عليه السلام، إسلاما خالصا لله تعالى وليس لسليمان عليه السلام لأن الاتباع وعبادة الله تعالى يتساوى فيه الذكر والأنثى وكلهم عبد لله الواحد القهار.

ويعتبر سليمان عليه السلام من أعظم ملوك بني إسرائيل، وأنبيائهم الذين عرّفهم القرآن الكريم، وقد أضيف إلى قصصه الكثير من التحريف والتأويل المخل لمقام النبوة، خاصة الأحداث التي وردت في قصته عليه السلام مع ملكة سبأ، فيذكر الإمام السعدي رحمه الله في ختام تفسيره لقصة سليمان عليه السلام وملكة سبأ قوله:"فهذا ما قصه الله علينا من قصة ملكة سبأ وما جرى لها مع سليمان، وما عدا ذلك من الفروع المولدة والقصص الإسرائيلية فإنه لا يتعلق بالتفسير لكلام الله وهو من الأمور التي يقف الجزم بها، على الدليل المعلوم عن المعصوم، والمنقولات في هذا الباب كلها أو أكثرها ليس كذلك، فالحزم كل الحزم، الإعراض عنها وعدم إدخالها في التفاسير" (السعدي، ١٤٣٢ه، ص٤٢٤). فالمسلم المتدبر لآيات الله تعالى عليه أن ينزه نفسه عن الخوض في روايات وأخبار لم يتيقن منها ويغلب عليها الظن، ويكتفي بالعظة والعبرة التي يتعلمها من القصة في القرآن الكريم.

الفصل الثالث
المضامين التربوية المستنبطة من قصة سليمان عليه السلام وملكة سبأ في القرآن الكريم في الجانب العقدي والتعبدي

المبحث الأول : التوحيد

المبحث الثاني : عقيدة الولاء والبراء

المبحث الثالث : الشكر

المبحث الرابع : التوبة والرجوع إلى الله تعالى

الفصل الثالث : المضامين التربوية المستنبطة من قصة سليمان عليه السلام وملكة سبأ في القرآن الكريم في الجانب العقدي والتعبدي

مقدمة:

بينت قصة سليمان عليه السلام وملكة سبأ في القرآن الكريم التربية العقدية وارتباطها بالجانب التعبدي، فنبي الله سليمان عليه السلام لا يكف عن شكر الله عز وجل المنعم المتفضل، وملكة سبأ أول ما أسلمت توجهت إلى الله تعالى بالدعاء، فسلوك النبي سليمان عليه السلام ضبطته عقيدته السليمة، وتصرف ملكة سبأ نتج عن تصحيح عقيدتها.

لذا فقد اهتم القرآن الكريم اهتماما بالغاً بالعقيدة وتصحيحها، والحث على التمسك بها، ونبذ ما سواها، ولا تكاد تخلو آية من جانب عقدي تشير إليه، فهي الأساس الذي تبنى عليه العبادة المقبولة، فكان الجانب العقدي أولاً، ثم البناء القائم عليه وهو الجانب التعبدي، وعلى هذا بدأ الباحث باستنباط المضامين التربوية من قصة سليمان عليه السلام وملكة سبأ في القرآن الكريم في الجانب العقدي والتعبدي.

وعلى ضوء ما سبق تناول هذا الفصل أربعة مباحث: المبحث الأول: التوحيد، المبحث الثاني: عقيدة الولاء والبراء، المبحث الثالث: الشكر، المبحث الرابع: التوبة والرجوع إلى الله تعالى.

المبحث الأول: التوحيد

التوحيد هو دعوة الرسل عليهم الصلاة والسلام، وهو الفطرة التي فطر الله تعالى الناس عليها، ولقد ورد التوحيد في قصة سليمان عليه السلام وملكة سبأ على لسان الهدهد بإنكاره على قوم سبأ صرف العبادة لغير الله تعالى، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ (سورة النمل: آية٢٤-٢٦). ثم أعقب الله سبحانه وتعالى على لسان الهدهد أيضاً إقراراً بـأن الله تعالى هو المستحق للعبادة وحده؛ فهو المتفرد بصفات الكمال والعظمة والجلال سبحانه.

ولبيان أهمية عقيدة التوحيد، وآثاره التربوية على الفرد والمجتمع، يعرض هذا المبحث العناصر التالية:

أولا: تعريف التوحيد

التوحيد في اللغة : مأخوذ من اللفظ وحد وهو أصلٌ واحد يدلُّ على الانفراد، ومن ذلك الوَحْدَة: وهو وَاحدُ قبيلته، إذا لم يكنْ فيهم مثلُه، والواحد: أي المنفرد (زكريا، ١٤١١هـ، ج٦، ص٩٠).

أما التوحيد اصطلاحا : فيطلق على "العلم والاعتراف بتفرد الرب بصفات الكمال، والإقرار بتوحده بصفات العظمة والجلال، وإفراده وحده بالعبادة" (السعدي،١٤٢٥هـ،ص٣٩).

ثانيا: أهمية التوحيد

تنبثق أهمية التوحيد من تعلقه بالرب سبحانه وتعالى الذي له المنازل العلا سبحانه وتعالى في قلوب أهل الإيمان والصلاح والتقوى، ولعل أهمية التوحيد وضرورة تربية الفرد عليه تبرز من خلال كونه:

١- الغاية العظمى والمقصد الأسنى، والهدف الأسمى، والمطلب الأعلى من دعوة الرسل عليهم الصلاة والسلام، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴾ (سورة النحل: آية ٣٦). وقَالَ تَعَالَىٰ:﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾ (سورة الأنبياء: آية٢٥). فالتوحيد مقصد بعثة الرسل وأساس دعوتهم ومنتهى أعمالهم وغاية جهادهم وقطب الرحى في حياتهم.

٢- الغاية والحكمة من خلق الثقلين، **قَالَ تَعَالَىٰ:**﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ (سورة الذاريات: آية ٥٦). إلا ليعبدون أي "إلا ليوحدون"(القرطبي، ١٤٢٧هـ، ج١٩، ص٥٠٦). فالتوحيد هو الركيزة الأولى، والقاعدة العظمى التي يقوم عليها الإسلام.

٣- حياة لكل إنسان، فلا حياة أبداً إلا بتوحيد الله تعالى، **قَالَ تَعَالَىٰ:**﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ (سورة الأنعام: آية ١٢٢). فتوحيد الله تعالى حياة لمن تمسك به ومن أعرض عنه مات في الظلمات ليس بخارج منها "لأن حياة القلوب الحقيقية إنما تكون به، وبدونه فإن الإنسان يكون ميْتا ولو كان بين الناس من الأحياء"(العباد، ٢٠٠١، ص٢٩).

٤- مدار حياة المسلم، **قَالَ تَعَالَىٰ:**﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ (سورة الأنعام: الآيات ١٦٢- ١٦٣). فقيمة الإنسان تظهر عندما يجعل رضا ربه محور حياته، ونصب عينيه، فيستعبد كل ذرة من ذرات جسده، وكل حركة من حركاته، وكل سكنة من سكناته ونفسه لله رب العالمين.

٥- سبب مغفرة الذنوب، **قَالَ تَعَالَىٰ:**﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴾ (سورة النساء: آية ٤٨). فكل ذنب يغفره الله تعالى إلا أن يشرك به.

٦- مفتاح الوصول للجنة والنجاة من عذاب النار، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه "أن النبي صلى الله عليه وسلم، ومعاذ رديفه على الرحل، قال: يا معاذ بن جبل. قال: لبيك يا رسول الله وسعديك. قال: يا معاذ. قال: لبيك يا رسول الله وسعديك ثلاثًا، قال: ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، صدقًا من قلبه، إلا حرمه الله على النار" (البخاري، ١٤٢٢ه، ج١، حديث رقم:١٢٨، ص٣٧).

٧- سبب للنصر بإذن الله سبحانه وتعالى، **قَالَ تَعَالَىٰ:**﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾ (سورة محمد: آية٧). فالتوحيد هو أساس النصر، وما انتصر المسلمون من كثرة، ولكن بما وقر في القلوب من توحيد الله والذلة الخضوع له، وعدم الاستعانة إلا به، **قَالَ تَعَالَىٰ:**﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ۙ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ۙ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴾ (سورة التوبة: آية٢٥).

ثالثا: الآثار التربوية لمضمون التوحيد

جعل الله تعالى لكل ما شرع سبحانه آثاراً وثماراً، ولما كان التوحيد أعظم العبادات التي أوجبها الله على خلقه كانت ثماره من أعظم الثمار، ومنها:

١- انشراح الصدر:

التوحيد أعظم أسباب انشراح الصدر؛ لأنه الهداية العظمى من الله تعالى، وعلى حسب كماله وقوته يكون انشراح صدر صاحبه، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (سورة الأنعام: آية١٢٥). "فالهدى والتوحيد من أعظم أسباب شرح الصدر، والشرك والضلال من أعظم أسباب ضيق الصدر وانحراجه، ومنها: النور الذى يقذفه الله فى قلب العبد، وهو نور الإيمان، فإنه يشرح الصدر ويوسعه، ويفرح القلب، فإذا فقد هذا النور من قلب العبد، ضاق وحرج، وصار فى أضيق سجن وأصعبه" (ابن القيم، ١٩٩٤، ج٢، ص٢٤).

٢- الطمأنينة والاستقرار النفسي:

إن غرس التوحيد في نفوس الناشئة منذ الصغر يساعد ويؤثر كثيراً على تكوين الشخصية السوية، ويكسب النفس الطمأنينة والسكينة والرضا، ويحدد الأهداف فينظم بذلك الحياة، ويجمع شتات النفس ويوحد وجهتها نحو معبود واحد هو الله سبحانه وتعالى.

فتوحيد الله تعالى يمثل أهم أسباب الاستقرار النفسي؛ لأنه يحرر العبد من رق المخلوقين والتعلق بهم، والعمل لأجلهم، " والعقيدة حين تتغلغل في النفس تدفعها إلى سلوك إيجابي، والدين يساعد الفرد على الاستقرار النفسي والإيمان يؤدي إلى الأمان، وينير الطريق أمام الفرد، في طفولته عبر مراهقته إلى رشده ثم إلى شيخوخته" (زهران، ٢٠٠٥، ص٣٩٤). والتوحيد هو أساس الدين، ولب العقيدة الصحيحة الذي لا يقبل عمل من دونه.

٣- تربية العقل على سعة الإدراك وحب الإطلاع:

إن من لوازم صدق توحيد الله تعالى التفكر في خلقه، والإيمان بأن كل موجود أوجده الله تعالى لحكمة علمها الإنسان أو جهلها، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ (سورة آل عمران: الآيات١٩٠-١٩١). فالتوحيد الخالص يربي العقل الإنساني على سعة النظر، وحب الإطلاع، والبحث لمعرفة أسرار الكون وفق سنن الله تعالى، والتدبر والتفكر فيما خلق الله تعالى ليتحقق بذلك زيادة الإيمان،

والثبات على الحق، يقول النحلاوي:"تربي عقيدة التوحيد والإيمان بالله عقل الإنسان على سعة النظر، وحب الإطلاع على أسرار الكون، والطموح إلى معرفة ما وراء الحس، فكل ما في الكون مما نرى وما لا نرى من السماوات والكرسي والعرش والملائكة، كل ذلك من ملك الله، وكل كائن صغير أو كبير يسبح بحمد الله ويشهد بعظمته"(النحلاوي، ١٤٠٩ه، ص٨٣).

٤- الحفظ من الشرور، وتفريج الكربات:

لقد تكفل الله سبحانه وتعالى بحفظ عباده المؤمنين، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٖ كَفُورٍ ﴾ (سورة الحج: آية٣٨). فالتوحيد سبب لتفريج الكرب في الدنيا والآخرة؛ لأن العبد الذي تعلق قلبه بالله تعالى توكل عليه، ومن توكل على الله تعالى كفاه، ورزقه الرضا والتسليم بالقضاء، عن صهيب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:"عجبا لأمر المؤمن إن أمره كله خير وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له" (النيسابوري، ١٤٢٧ه، ج٨، حديث رقم:٧٦٩٢، ص٢٢٧).

٥- تربية الفرد على ضبط الغرائز:

الغريزة مكون أساسي للإنسان فإذا ما تركت دون تقييد وضبط، تملكت الفرد وأصبح منقادا لهدف إشباعها فقط، لذا كان التوحيد أهم ضابط للغرائز والحد من دوافعها، لذلك "إن خير وسيلة لتربية الغرائز وتعديلها، تربية العقيدة تربية قوية، هنالك تظل الغريزة ولكنها تصبح مملوكة غير مالكة، تابعة غير متبوعة، خادمة غير مخدومة، هنالك في ظل العقيدة المثلى يلين قياد الغرائز جميعها، وتصبح جنودا طيعة للقيادة العليا" (المصري، ١٣٩٨ه، ص٤٣).

رابعا: التطبيقات التربوية لعقيدة التوحيد في الواقع المعاصر

ترتكز تربية التوحيد في نفس المسلم على عقد الصلة الدائمة بين العبد وخالقه سبحانه وتعالى، فيصبح لحياة الفرد معنى، ولأعماله هدف، وتتنامى دوافعه للعلم والعمل، ويصبح مؤهلا لعمارة الأرض بما يرضي الله تعالى، وأكثر المؤسسات تربية وتعليما وتربية للفرد هما الأسرة، والمدرسة.

لذا أبرز الباحث دور الأسرة والمدرسة في تكوين عقيدة التوحيد، من خلال بعض التطبيقات التي تسهم في ترسيخ هذه العقيدة وتثبيتها في نفس الفرد.

١-دور الأسرة في تربية الفرد على التوحيد:

التوحيد حياة الإنسان وسر تكوينه، وأساس وجوده، والغاية التي من أجلها خلق، وقد هيأ الله سبحانه وتعالى الأمور المعينة على القيام به رحمة ورأفة بالناس، فقد جعل الله تعالى التوحيد الخالص أمر فطري جبِلِّي مفطور عليه الإنسان، مستقر في قرارة نفسه، وما الإشراك بالله تعالى إلا أمر طارئ خارج عن هذه الفطرة، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم:"كل مولود يولد على

الفطرة، فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه، كمثل البهيمة تنتج البهيمة هل ترى فيها جدعاء" (البخاري، ١٤٢٢ه، ج٢، حديث رقم: ١٣٨٥، ص١٠٠).

ومتى ما خلصت النفس من الشرك والإلحاد أصبحت مهتدية إلى الأساس الأول الذي تقوم عليه شخصية الفرد وهو التوحيد، يقول علوان: "إن الطفل حين يولد يولد على فطرة التوحيد، وعقيدة الإيمان بالله، وعلى أصالة الطهر والبراءة، فإذا تهيأت له التربية المنزلية الواعية، والخُلطة الاجتماعية الصالحة، والبيئة التعليمية المؤمنة، نشأ الولد على الإيمان الراسخ، والأخلاق الفاضلة، والتربية الصالحة" (علوان، ١٤١٧ه، ج١، ص١٢٠).

لذا، تعتبر الأسرة أساس بناء الفرد على عقيدة التوحيد، والمحضن التربوي الذي ينمي الفطرة السليمة، والحافظ له بإذن الله تعالى من كل ما يمكن أن يضله عن طريق التوحيد، ويمكن إبراز دورها في تربية الفرد على التوحيد من خلال التالي:

١- إسماع الطفل كلمة التوحيد بعد ولادته

عن أبي رافع رضي الله عنه قال : "رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أذن في أذن الحسن بن علي حين ولدته فاطمة بالصلاة" (الترمذي، ١٩٩٦، ج٣، حديث رقم:١٥١٤، ص١٤٩). فتسبق الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى ما يلقي الشيطان، "وقد توصل علماء النفس أن الطفل يتأثر بالكلام منذ الدقائق الأولى من حياته، وقد أشار إلى ذلك كوندن عام١٩٧٩، فقد قرر: أن الطفل يتفاعل مع الصوت الكلامي بعد عشرين دقيقة من الولادة، وأن ذلك يلعب دورا هاما في سياق تطور الطفل وتشربه سمات الوسط الثقافي الذي يكبر فيه" (الخميسي، ١٤٢٨ه، ص٣٣).

٢- النصح والتوجيه المباشر

يرشد الله عز وجل في القرآن الكريم الآباء إلى تحذير أولادهم من الشرك بالله تعالى، بخطاب واضح مفهوم حتى يدركوا خطورته، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ (سورة لقمان: آية١٣). وأيضا أمرهم بالتوحيد، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِۦمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (سورة البقرة: آية١٣٢). فالخطاب المباشر للولد سيقابل فطرة سليمة لم تتلوث بأدران الشرك، فيحركها نحو الطريق القويم، ويمهد لبناء حصن التوحيد في النفوس.

٣- تعويد الأبناء على التدبر في مخلوقات الله تعالى

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴾ (الغاشية: الآيات١٧-١٩). فتدبر عظيم خلق الله تعالى يدخل في نفس الفرد عظمة

الخالق سبحانه، فالنفس تستشعر وحدانية الله تعالى وعظمته ذلك "أن الحس غلب فعظمت قدرة الخالق عند رؤية جبل، وإن الفطنة لو تلمحت المعاني لدلت القدرة عليه أوفى من دليل الجبل" (ابن الجوزي، ١٤١٢ه، ص١٥٩). فالنظر إلى المخلوقات يثير الشعور بعظمة الخالق، وإن صاحب ذلك تدبر، ومعرفة للحكمة التي أرادها الله تعالى، لازداد الفرد الاتصال بالله تعالى بعقله وقلبه.

واستغلال الأحداث وما يحيط بالنشء لاستثارة وجدانهم في تدبر آيات الله تعالى، وفي خلق الكون، وعظمة خلقه، والموت والحياة والرزق وتصريف الأمور، كل ذلك له الأثر الأكبر في ترسيخ التوحيد، وتأصيل معانيه في النفس.

٤- تربية الطفل على أداء الشعائر الدينية واحترامها

إن التزام الوالدين بتطبيق أحكام الدين وشعائره، وإشراك الطفل في أدائه لها، يرسخ العقيدة الصحيحة ويظهر معانيها ومتطلباتها، فالتوجيهات النظرية إن انتقلت إلى تطبيقها بالأعمال، ثبت لدى الطفل التوحيد وأنكر غيره من العقائد، "وكلما كانت المظاهر متكررة بتكرر الأوقات والأيام كان ذلك أدعى إلى بقاء العقيدة ودوامها، فالصلاة مثلا وهي أحد المظاهر العقدية للإيمان بالله، لا تنحصر غاياتها في تربية ملكة الخضوع، وإيجاد خلق التدين عند الإنسان فحسب، لكنها تهدف وراء ذلك إلى تثبيت العقيدة في نفوس المعتقدين" (المصري، ١٣٩٨ه، ص١٢١). وكلما كان التزام الأسرة بإخلاص العبادة صحيحا وكاملا، كان أدعى لاستقامة الأولاد على عقيدة التوحيد.

٢-دور المدرسة في تربية الفرد على التوحيد

إن المدرسة كبيئة تربوية يقع عليها جزء من الاهتمام بتعليم وتثبيت عقيدة التوحيد في نفس الفرد، والتي تلقى أساسها في الأسرة، "ولا يقل دور المدرسة عن دور الأسرة في تعليم الفرد الصواب والسلوك السوى، وإكسابه القيم والمعتقدات الدينية السائدة في المجتمع"(إسماعيل، ١٩٧٤، ص٢٤٧).

ومن الأمور التي يمكن للمدرسة القيام بها حتى تؤدي دورها في التربية على التوحيد:

١- تدريس القرآن الكريم والحديث الشريف

القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة هما المصدران للعقيدة الصحيحة، فإن تدرب الطفل على قراءة القرآن الكريم وتفسيره، والأحاديث الشريفة ومعانيها قوي إيمانه، ورسخ التوحيد في قلبه، "فلا يزال اعتقاده يزيد رسوخا بما يقرع سمعه من أدلة القرآن وحججه، وبما يرد عليه من شواهد الأحاديث وفوائدها" (الغزالي، د.ت، ج١، ص٩٤).

٢- ربط المناهج الدراسية بأهداف الدين

أسمى أهداف الدين هو توحيد الله تعالى، وأحد أهم الركائز الأساسية في المدرسة المنهج الذي يتلقاه التلاميذ عند طلبهم للعلم، فإن كانت أهداف الإسلام عنصرا مشتركا بين المناهج المختلفة، أثر ذلك إيجابا بترسيخ التوحيد في نفوس الأبناء، وصقل ما تعلموه في الأسرة من عقيدة سليمة.

"إن المتأمل في مناهج التعليم في البلاد الإسلامية لا يرى فيها أهداف الإسلام واضحة، وأن المادة تدرس مجردة من كل غاية كما هو في المواد العلمية البحتة... فعندما تصف مظاهر الكون، وتكشف نواميسه، تنظر إليها نظرة مجردة تؤكد سلطان العلم والمادة، ونسيان سلطان الله تعالى، وأما النظرة الإسلامية فتربط سنن هذه العلوم بمبدع الكون وخالقه سبحانه" (أبو رزق، ١٤٢٦ه، ص٤٩). فكل أمة تعلم أبنائها ما يحقق أهدافها، وأمة الإسلام تهدف إلى توحيد الله تعالى.

٣- تفعيل الأنشطة لترسيخ التوحيد الصحيح

الاستفادة من الأنشطة في عرض مواقف ولقاءات تظهر أهمية التمسك بالتوحيد، وعمل المسابقات والبحوث المناسبة لكل مرحلة صفّية، فيعرف الطالب الخطأ فيتجنبه، ويعلم الصواب فيتمسك به؛ لأن "النشاط المدرسي له أهمية في إكساب وتعديل كثير من أنماط السلوك" (عامر، ٢٠١٠،ص٢٠٢). فالطالب يميل إلى الأنشطة غير الصفية والتي تساعده على توجيه ما لديه من طاقة في الطريق الصحيح.

المبحث الثاني: عقيدة الولاء والبراء

التوحيد والكفر ضدان لا يجتمعان في قلب مؤمن بالله تعالى حق الإيمان، فكلمة التوحيد نصفها براءة من الشرك وأهله؛ وذلك من قول:لا إله. والنصف الآخر ولاء لله عز وجل وعبودية له سبحانه؛ وذلك من قول:إلا الله؛ فمقتضى التوحيد محبة ما يحبه الله سبحانه تعالى ومحبة من يحبه الله سبحانه وتعالى، والبراءة من كل ما يُعبد من دون الله تعالى، وبغض ما يبغضه الله سبحانه وتعالى ومن يبغضه عز وجل. وتصرف هدهد سليمان عليه السلام واهتمامه بما رأى في مملكة سبأ من الأدلة على أن "الحيوانات تعرف ربها وتسبِّحه وتوحِّده، وتحب المؤمنين وتدين لربها بذلك، وتبغض الكفار المكذبين، وتدين بذلك"(السعدي، ١٤٣٢هـ، ص٢٦٠). وهذا صلب العقيدة، براءة من أهل الشرك وولاء لأهل الإيمان.

ولتوضيح الأهمية التربوية لهذا المضمون، يتناول المبحث الحالي العناصر التالية:

أولاً: تعريف الولاء والبراء:

الولاء لغة: من الوَلْي: أي القُرب والدُّنو، والوَلِيُّ: المُحِبُّ والصَّدِيقُ والنَّصيرُ، والوَلاءُ : المِلْكُ، والمَوْلَى: المالِكُ، والعَبْدُ، والصاحِبُ، والقريبُ، والجارُ، والحَليفُ، والشَّريكُ، والوَلِيُّ، والرَّبُّ، والناصِرُ، والمُنْعِمُ، والمُنْعَمُ عليه، والمُحِبُّ، والتابِعُ (الفيروزآبادي، ١٤٢٦هـ، ص١٧٣٢).

والبراء لغة: "أما الباء والراء والهمزة فأصلان إليهما ترجع فروع الباب: أحدهما الخَلْق، يقال بَرَأَ الله الخلقَ يَبْرَؤُهم بَرْءًا. والبارئ الله جل ثناؤه... والأصل الآخر: التباعد من الشيء ومُزايَلَتُه، من ذلك البُرْءُ وهو السلامة من السُّقم، يقال بَرِئْت وبرَأْتُ... وأهلُ الحجاز يقولون: أنا بَرَاءٌ منك، وغيرهم يقول أنا بريءٌ منك... ومن ذلك البَراءة من العَيبِ والمكروه، ولا يقال منه إلا بَرِئَ يَبْرَأُ"(الرازي، ١٤١١هـ، ج١، ص٢٣٦).

الولاء والبراء اصطلاحا: الولاء:"النصرة والمحبة والإكرام والاحترام والكون مع المحبوب ظاهرا وباطنا" (القحطاني، ١٤١٣هـ،ص٨٩). **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ﴾ (سورة التوبة: آية٧١). "فالولاية مأخوذة من يليه، أي صار قريباً، وضدها عاداهُ أي بَعُدَ عنه وتركه. إذن: فالموالاة ضدها العداوة. وفائدة القرب أن يكون الولي نصير أخيه المؤمن" (الشعراوي، ١٩٩٩، ج٨، ص٥٢٨٨).

والبراء:"البعد والخلاص والعداوة بعد الإعذار والإنذار"(القحطاني، ١٤١٣هـ، ص٩٠). **قَالَ تَعَالَىٰ:**﴿ بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ (سورة التوبة: آية١). "أي هذه براءة بمعنى تبرؤ وتباعد وتخلص" (الجزائري، ١٤١٢هـ، ج٢، ص٣٣٦).

ثانيا: أهمية عقيدة الولاء والبراء

أوثق عرى الإيمان الولاء والبراء، وهي صُلب التوحيد وأُسه المتين، عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أوثق عرى الإيمان، الحب في الله، والبغض في الله"(ابن أبي شيبة، ١٤٢٧ه، حديث رقم:٣٢١، ص١٦٥).

وقد أنكر الهدهد ما رأه في مملكة سبأ من الشرك والسجود لغير الله تعالى، وأعلن ولاءه لدين الله تعالى المستحق للعبادة فأعلى الله تعالى من شأنه وخلد ذكره، فللولاء والبراء أهمية عظيمة، ومكانة جليلة، وتربية الفرد عليها ضرورة إسلامية كونها:

١- اتباعاً لله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم، **قَالَ تَعَالَى:**﴿ وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوۡمَ ٱلۡحَجِّ ٱلۡأَكۡبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ وَرَسُولُهُۥۚ فَإِن تُبۡتُمۡ فَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُمۡ غَيۡرُ مُعۡجِزِي ٱللَّهِۗ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ (سورة التوبة: آية٣). والمؤمنين تبع لما أمر الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم من البراءة من الشرك وأهله.

٢- فعل الأنبياء صلوات الله عليهم والصالحين، **قَالَ تَعَالَى:**﴿ قَدۡ كَانَتۡ لَكُمۡ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذۡ قَالُواْ لِقَوۡمِهِمۡ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمۡ وَمِمَّا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرۡنَا بِكُمۡ وَبَدَا بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةُ وَٱلۡبَغۡضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحۡدَهُۥٓ ﴾ (سورة الممتحنة: آية٤). فالواجب موالاة المؤمنين، وبغض المشركين، أسوة بمن أمرنا الله تعالى أن نتأسى بهم.

٣- عقداً عقده الله تعالى للمؤمنين وبينهم، **قَالَ تَعَالَى:**﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ ﴾ (سورة الحجرات: آية١٠). "هذا عقدٌ، عقده الله بين المؤمنين، أنه إذا وجد من أي شخص كان، في مشرق الأرض ومغربها، الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، فإنه أخ للمؤمنين، أخوة توجب أن يحب له المؤمنون، ما يحبون لأنفسهم، ويكرهون له ما يكرهون لأنفسهم"(السعدي، ١٤٣٢هـ، ص٧٤٤). فالإسلام لا يعترف بالألوان أو الأنساب والأعراق وغيرها من طرق التفرقة الجاهلية، فقد تجاوز الحواجز وارتقى بأهله إلى ما هو أسمى من المظاهر الخدّاعة، وربط المؤمنين برباط لا ينقطع مهما طال الزمان، وتباعد المكان، فرباط الإيمان وحبل الله تعالى المتين هو من يجمع هذه الأمة على المحبة والإخوة فصهيب الرومي وسلمان الفارسي وبلال الحبشي وأبوبكر القرشي العربي رضي الله عنهم إخوة جمعهم الإسلام، فكل واحد منهم يحمل الولاء لأخيه عقيدة وإيمانا وقربة بها إلى الله.

٤- سبباً لنزول رحمة الله تعالى على المؤمنين، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (سورة التوبة: آية٧١). فالمؤمنون من أول الخليقة إلى آخرها مهما تباعدت أوطانهم وامتدت أزمانهم إخوة متحابون؛ يقتدي آخرهم بأولهم، ويدعوا بعضهم لبعض، ويستغفر بعضهم لبعض.

٥- سبباً لدخول الجنة بإذن الله تعالى، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ (سورة المجادلة: آية٢٢). فنيل رضا الله سبحانه وتعالى، والفلاح في الدنيا والآخرة، جزاء من اتخذ المؤمنين أولياء وتبرأ من أهل الشرك، وجعل المؤمنون أهلا له وقرابة دون دون غيرهم من أهل الشرك، ولو كان بينهم نسب.

٦- سبباً للفوز بظل الرحمن سبحانه يوم القيامة، إن عقيدة الولاء مبنية على الحب في الله تعالى، ومن كان حبه لله تعالى لا لغرض دنيوي، كان جزاءه أن يظله الله تعالى في ظله يوم لا ظل إلا ظله سبحانه، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "إن الله تعالى يقول يوم القيامة أين المتحابون بجلالي اليوم أظلهم في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي" (النيسابوري، ١٤٢٧ه، ج٨، حديث رقم:٦٧١٣، ص١٢). فكما أن المحبة كانت من نوع خاص وفريد، كان الجزاء أيضا من نوع خاص ومميز عن غيره يوم القيامة.

ثالثا: الآثار التربوية لعقيدة الولاء والبراء

لا شك أن تطبيق عقيدة الولاء والبراء يثمر ثمرات وأثار إيجابية على الفرد والمجتمع، ولعل من تلك الآثار ما يلي:

١- تحقيق الإيمان والتمتع بلذته

إن أهم أثر لمضمون الولاء والبراء حصول زيادة الإيمان والتمتع بحلاوته، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:"ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار" (البخاري، ١٤٢٢ه، ج١، حديث رقم:١٦، ص١٢). والثلاث التي ذكرها رسول الله

صلى الله عليه وسلم هي عقيدة الولاء لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين، والبراء من الكفار والمشركين، وبغضهم.

٢- بناء مجتمع راقي مترابط

فالتربية على عقيدة المحبة والولاء للمؤمنين تنشئ أفرادا نزعت من صدورهم الأنانية البغيضة، وحب النفس المتجرد من النظر إلى مصلحة الآخرين، فقد ربط المصطفى صلى الله عليه وسلم بين إيمان المرء وحبه لأخيه المسلم، وموضحا لمعنى المحبة في الله تعالى، عن أنس رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:"لا يؤمن أحدكم، حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه" (البخاري، ١٤٢٢ه، ج١، حديث رقم:١٣، ص١٢). "إن هذه المرتبة التي يحب فيها المرء لأخيه ما يحب لنفسه لتدل دلالة واضحة على رقي المجتمع الذي يقدر أفراده كل منهم مصلحة الآخر، وبذلك يتحقق البناء الاجتماعي الذي يشد بعضه بعضا" (الجقندي، ٢٠٠٣،ص٢٠٥).

٣- سلامة الصدر من الأحقاد والتحاسد

فمن أثر موالاة المؤمن لأخيه المؤمن حب الخير له، والبعد عن الحسد والتنافس المذموم، وألا يتمنى زوال نعمة أنعم الله بها على أخيه وإن فاته تحصيلها، ذلك أن "المسلم لا يربط بين حظه من الحياة ومشاعره من الناس، ذلك أنه ربما فشل حيث نجح غيره، وربما تخلف حيث سبق آخرون،... ثم إن المسلم يجب أن يكون أوسع فكرة، وأكرم عاطفة، فينظر إلى الأمور من خلال الصالح العام، لا من خلال شهواته الخاصة، وجمهور الحاقدين، تغلي مراجل الحقد في أنفسهم، لأنهم ينظرون إلى الدنيا فيجدون ما يتمنونه لأنفسهم قد فاتهم، وأمتلأت به أكف أخرى" (الغزالي، ١٤٠٨ه، ص٩٦).

٤- بناء الشخصية الإسلامية

إن تطبيق عقيدة الولاء والبراء من العوامل المؤدية إلى تكوين الشخصبة الإسلامية التي تؤكد تميز الفرد المسلم، فالشخصية التي تبنى على أسس تبرأ من الشرك وما يؤدي إليه، وموالاة الصالحين والاقتداء بهم، وتنهج طريق القرآن الكريم والسنة المطهرة، ترسخ فيها العقيدة الإسلامية الصحيحة، وتبتعد أخلاقها عن الإنحراف والتبعية لغير الله تعالى.

رابعا: التطبيقات التربوية لعقيدة الولاء والبراء في الواقع المعاصر

الولاء والبراء أحد أركان العقيدة، وشرط من شروط الإيمان، تختلط الأمور على من يهمله ؛ لأنه ينظم حياة المسلم في جميع شؤونه، ويحدد له طبيعة السلوك الذي ينتهجه مع غيره من الناس، فكما وضع الإسلام الآداب والأصول لتعامل المسلمين مع بعضهم، فإنه أيضا وضع آدابا وأخلاقا للتعامل مع غير

المسلمين، حث عليها الرحمن عز وجل، وطبقها النبي المصطفى صلى الله عليه وسلم، وقام الصحابة رضي الله عنهم بالسير عليها فنشروا الإسلام، وسادوا البلاد.

وإذا علم هذا المبدأ العظيم، وعرفت معالمه وحدوده، فإنه لابد أن تتأصل في النشء معانيه ومتطلباته، وهذا دور الآباء والمربين الذين يدركون أهمية عقيدة الولاء والبراء.

١-دور الأسرة في تربية الفرد على الولاء والبراء:

إن أولى وأعظم مسؤولية على الآباء تعليم الأولاد عقيدتهم، وتعليق آمالهم بالله تعالى وحده، وتعريفه بمن يوالي ومن يعادي، فنفس الطفل تربة خصبة وأيما شيء بذر فيها فسيظهر نباته بعد حين، لذا على الأسرة زرع عقيدة الولاء لأهل الإيمان، والبراءة من أهل الشرك والأوثان، و يمكن للأسرة أن تؤدي دورها في تربية الفرد على عقيدة الولاء والبراء من خلال التالي:

١- التربية بالقصة :

فالقصص قريبة من نفس الطفل واستخدامها في تعزيز عقيدة الولاء والبراء، خير وسيلة لإيصال ما يرغبه المربي بيسر وسهولة، فعن طريق قصص الأنبياء عليهم السلام، وسيرة المصطفى عليه الصلا والسلام، يمكن للآباء أن ينقلوا صورة حية لطبيعة الولاء والبراء، ويبنوا شخصية إسلامية مميزة للطفل منذ نعومة أظفاره.

٢- تعريف الأولاد بما يحدث في العالم الإسلامي:

فالأحداث اليومية التي تمر على العالم الإسلامي، والهجوم الشرس على عقيدته ومحاربتها، إن عرضها المربي في قالب سهل، عمل على توعية الأولاد بأعدائهم، وقربهم من إخوانهم المسلمين في شتى أنحاء العالم.

٣- تعويد الأولاد مد يد العون لإخوانهم المسلمين:

إن من الولاء والبراء مشاركة المسلمين أفراحهم، ومواساتهم في أحزانهم، فإذا تعود الطفل مد يد العون لإخوانه المسلمين ولو بالدعاء، تنامى لديه الشعور بالولاء لأمة الإسلام، ومحبتهم لأجل عقيدتهم، وتخطي العصبيات الجاهلية التي تفرق بين أبناء الإسلام.

٤- عدم استخدام العمالة الكافرة:

فإن من البراءة من أهل الشرك عدم استخدامهم، وتخير من يرضى الله تعالى دينه ليقوم بالعمل، سواء كان في الأعمال الحكومية، أو الأهلية، أو الخاصة بالبيوت، فالكفر ملة واحدة، والمؤمن كيس فطن يقي أهله وأبنائه ما يخدش عقيدتهم، ويقربهم من أهل الكفر.

٢- دور المدرسة في تربية الفرد على الولاء والبراء

إذا ذكرت تربية الأجيال أتى دور المدرسة، والتي تحمل أهمية بارزة في التربية على عقيدة الولاء والبراء، وإكمال دور الأسرة، والعمل جنبا إلى جنب معا لتعزيز عقيدة الولاء والبراء، ومن الجوانب التربوية لتحقق عقيدة الولاء والبراء الآتي:

١- إبراز الصورة المشرفة في التاريخ الإسلامي:

فالتاريخ الإسلامي مع دول الكفر إذا عرضت أحداثه على الطلاب زرع في نفوسهم العزة، وربط ماضي الأمة بحاضرها، وأظهر الخلل الذي وقعت فيه الأمة، وأسباب ضعفها ومداهنتها لعدوها، وأصّل لعقيدة الولاء والبراء، وبيّن أعداء الإسلام بصورة أكثر وضوحا وواقعية.

٢- نقد الاتجاهات الفكرية التي تحارب الدين

فكثير من الأفكار الهدامة التي تحارب الدين، أو تنافي أهدافه تنتشر عن طريق ضعاف النفوس، أو قنوات إعلامية غربية وعربية، فمن واجب المعلم أن ينبه الطلاب على مثل تلك الدعوات، ويظهر عورها ومخالفتها للدين الحنيف، ويبين أهدافها ونتائجها على الفرد والمجتمع، فالمدرسة مكان للعلم وتبادل الخبرة بين المعلم والطالب.

٣- تحذير التلاميذ من التشبه بالكفار:

الولاء والبراء يقتضي عدم التشبه بالكفار، لأن ذلك له أثر سلبي على عقيدة الفرد، ثم على المجتمع، يقول ابن تيمية:"الموالاة والمودة وإن كانت متعلقة بالقلب لكن المخالفة في الظاهر أعون على مقاطعة الكافرين ومباينتهم، ومشاركتهم في الظاهر إن لم تكن ذريعة أو سببا قريباً أو بعيداً إلى نوع من الموالاة والمودة فليس فيها مصلحة المقاطعة والمباينة، مع أنها تدعو إلى نوع ما من المواصلة كما توجبه الطبيعة، وتدل عليه العادة" (ابن تيمية، ١٤١٩ه، ج١، ص١٨٤).

فعلى المربين التحذير من التشبه بالكفار وموالاتهم من خلال تعظيم ما عليه الإسلام وأهله، وما تميزوا به عن غيرهم من الاتباع لعقيدة واضحة صحيحة بينة غير محرفة، ويبين المناسبات الشركية حتى لا يقعوا في الاحتفال بها وتعظيمها، ويصدر منشورات تحذر منها.

٤- القيام برحلات وزيارات لغرس مفهوم الولاء والبراء:

ومن الطرق التي يمكن من خلالها غرس عقيدة الولاء والبراء تنظيم رحلات للمناطق التي حدثت فيها معارك انتصر فيها المسلمون، وزيارات للمساجد التي بناها الصحابة رضي الله عنهم والتابعين، وتعظيم مآثرهم وما خلفوه شاهداً لهم، وزيارة المنظمات التي تهتم بأحوال المسلمين مثل رابطة العالم الإسلامي، والندوة العالمية للشباب الإسلامي وغيرها، حتى يتعرف الطالب على أحوال المسلمين، وينظر إلى تكاتف أبناء الأمة دون تمييز لعرق أو للون أو لجنس.

المبحث الثالث : الشكر

لقد حثّ الله سبحانه وتعالى عباده على شكر النعمة التي تفضل بها عليهم في كثير من آيات الذكر الحكيم، وقصة سليمان عليه السلام مع ملكة سبأ مثال واقعي لعبد شكور، لم ينسه عظم الجيش والمكانة التي هو فيها شكر الله تعالى بل رد الفضل لمستحق الشكر، فقد أخبر الله سبحانه عن شكر سليمان عليه السلام لرؤيته عرش ملكة سبأ بين يديه، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴾ (سورة النمل: آية٤٠). "قال: هذا من نعم الله علي ليختبرني، هل أشكر فضله علي، الذي آتاني من غير حول مني ولا قوة، أو أجحد فأنسب العمل لنفسي. ومن شكر النعمة، فإن نفع شكرها عائد إليه، لا إلى الله المنعم، لأنه بالشكر تدوم النّعم"(الزحيلي، ١٤٢٢هـ، ج٢، ص١٨٧٧). أما من "جحد النعمة و لم يشكر المنعم {فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ} أي : عن شكره {كَرِيمٌ} أي يعطي عبده رغم ما كان منه من جحود وكفر بالنعمة؛ لأن نعمه تعالى كثيرة لا تُعَدُّ ، وهذا من حِلمه تعالى ورأفته بخَلْقه"(الشعراوي، ١٩٩٩، ص٦٧٤٧). فالشكر عبادة عظيمة ولفضلها ومترلتها الجليلة، يعرض هذا المبحث لبيانها العناصر التالية:

أولاً: تعريف الشكر

الشكر في اللغة : عرفان الإحسان ونشره وهو الشكور، والشكر من الله المجازاة والثناء الجميل، والشكر لا يكون إلا عن يد، والشكور من صفات الله جل اسمه معناه أَنه يزكو عنده القليل من أَعمال العباد فيضاعف لهم الجزاء، وأما الشكور من عباد الله فهو الذي يجتهد في شكر ربه بطاعته (ابن منظور، ١٩٩٧، ج٧، ص١٧٣).

الشكر اصطلاحا : "عكوف القلب على محبة المنعم، والجوارح على طاعته، وجريان اللسان بذكره والثناء عليه" (ابن القيم، ١٤٢٢هـ، ج٢، ص٢٣٥).

فكل مخلوق طبعه الله تعالى على محبة من أولاه فضلاً، والله تعالى هو المنعم المتفضل على من خلق، فالشكر مبدأه القلب محبة، وعمل الجوارح طاعة لمن أحب القلب، ونطق اللسان بالثناء على صاحب الفضل سبحانه وتعالى.

ثانياً: أهمية الشكر

الشكر عبادة عظيمة، وخلق كريم، اختصه الرحمن سبحانه وتعالى بالفضل الكبير، والمترلة الرفيعة، ولعل أهمية عبادة الشكر تظهر من خلال التالي:

١- أنه الله سبحانه وتعالى وصف نفسه سبحانه بالشاكر، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ (سورة البقرة: آية١٥٨). ومن أسمائه سبحانه الشكور، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾ (سورة التغابن: آية١٧). فاتصف الله عز وجل بصفات مشتقة من الشكر، دلالة على أنه ذو أهمية بالغة عند رب العزة والجلال سبحانه.

٢- أنه صفة الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه، وغاية الأصفياء، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ (سورة الإسراء: آية٣). وأثنى سبحانه وتعالى على إبراهيم عليه الصلاة والسلام، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ۚ ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ (سورة النحل: الآيات١٢٠-١٢١).

٣- أنه أمر الله تعالى لأنبيائه صلوات الله عليهم، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِى وَبِكَلَٰمِى فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ (سورة الأعراف: آية١٤٤).

٤- أن الشكر نصف الإيمان، ونصفه الآخر الصبر، عن صهيب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:"عجبا لأمر المؤمن إن أمره كله خير وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له" (النيسابوري، ١٤٢٧ه، حديث رقم:٧٦٩٢، ص٢٢٧).

٥- أنه وصية الله تعالى للإنسان، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ﴾ (سورة لقمان: آية١٤). والوصية لازمة التنفيذ إن كانت من بشر، فكيف إن أمر الله تعالى بها؟.

٦- أن الشكر قُرِن بالإيمان بالله تعالى، ويدفع الله به العذاب عن عباده، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ۚ﴾ (سورة النساء: آية١٤٧).

٧- أن مَن شكر الله تعالى أخلص العبادة له، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱشْكُرُوا۟ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ (سورة البقرة: آية١٧٢). "فدل على أن من لم يشكر الله، لم يعبده وحده، كما أن من شكره، فقد عبده، وأتى بما أمر به"(السعدي، ١٤٣٢هـ، ص٥٩).

٨- أن الشكر طريق موصل لرضا الرحمن سبحانه، والفوز بالجنان، لذا كان هدف عدو بني آدم إبليس أن يحول بين الإنسان وبين الشكر، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ

﴿١٦﴾ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ وَلَا تَجِدُ أَكۡثَرَهُمۡ شَٰكِرِينَ ﴾ (سورة الأعراف: الآيات١٦-١٧).

ثالثاً: الآثار التربوية للشكر

إن تعود الفرد شكر الله تعالى على ما آتاه من نعم لا تعد ولا تحصى فضل كبير من الله سبحانه، ولا شك أن له الأثر العظيم في حياة الفرد ظاهرا وباطنا، وفي النقاط التالية إشارة إلى بعض الآثار لعبادة الشكر.

١- حفظ النعم من الزوال وزيادتها:

فالنعم على الإنسان كثيرة، وفضل الله تعالى عظيم، ولا أحبَّ على الفرد من بقاء نعمة هو فيها، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَإِذۡ تَأَذَّنَ رَبُّكُمۡ لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡۖ وَلَئِن كَفَرۡتُمۡ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾ (سورة إبراهيم: آية٧). والله سبحانه وعد من شكر من عباده بالزيادة، والفرد يحرص على ذلك بطبيعته، وهذا الحرص هو الذي يقتضي للمسلم السمو وعلو الهمة، بحيث لا يرضى بالمراتب الدنية، ويطلب السمو إلى أن يكون منتهاه الفردوس الأعلى من الجنة تحت عرش الرحمن، فلا يرضى بأي شيء أقل من ذلك ولا دونه.

٢- القناعة والطمأنينة الدائمة:

إن دوام شكر الله تعالى يغرس في نفس الإنسان الراحة والطمأنينة، ويشعره بالرضا عن النعم التي وهبها الله تعالى إياه، فلا يتطلع لما عند غيره، "فإذا امتلأ القلب بالشكر حلت القناعة؛ لأنها دليل الشكر مثلما أن الشكر دليل على معرفة الله تعالى الواهب الكريم" (العلي، ١٤٠٥، ص١٢٢). فالشاكر متعلق بالله تعالى دائم الصلة به، قانع بما آتاه الله تعالى سواء كان قليلاً أم كثيراً.

٣- تزكية النفس واستقامتها:

فالشاكر لله تعالى دائم الإحساس بمعيته سبحانه، واطلاعه على أعماله ومراقبته، فتستقيم النفس على ما يحب الله تعالى ويرضى، وتجعل العبد دائم الالتجاء إلى الله تعالى، "إن شكر النعمة دليل على استقامة المقاييس في النفس البشرية، فالخير يشكر لأن الشكر هو جزاؤه الطبيعي في الفطرة المستقيمة، هذه واحدة،... والآخرى أن النفس التي تشكر الله على نعمته تراقبه في التصرف بهذه النعمة، بلا بطر وبلا استعلاء على الخلق، وبلا استخدام النعمة في الأذى والشر والدنس والفساد، وهذه تلك مما يزكي النفس ويدافعها للعمل الصالح" (قطب، ١٤١٥ه، ج٤، ص٢٠٨٩).

رابعا: التطبيقات التربوية لعبادة الشكر في الواقع المعاصر

من أجلّ العبادات التي ينبغي للإنسان المداومة عليها، ويجعلها شعارا له الشكر، فينال الأجر العظيم من الله تعالى، وتتسم حياته بالرضا بما قسم الله تعالى له، فتطمئن نفسه وترتاح، ولايتحقق ذلك

إلا بالمجاهدة والتربية الجادة، وكلما كانت التربية في مقتبل العمر، كانت أدوم وأثبت، فنفس الطفل أكثر قابلية للتهذيب والتربية، فإذا ما ترعرع على شيء لازمه في بقية حياته، فينال الفضل والأجر من الله تعالى.

وإن أهم المؤسسات التربوية التي تسعى لتربية النشء الأسرة والمدرسة، فالأسرة تقوم باحتضانه وتعليمه منذ بداية حياته، والمدرسة تقوم بغرس القيم في نفسه، والباحث من خلال عرض بعض التطبيقات التربوية في هاتين المؤسستين يحاول رسم طريق لتربية النشء على شكر الله سبحانه وتعالى:

١-دور الأسرة في تربية الفرد على الشكر:

الأسرة هي المؤصل للتربية في نفس الفرد، وتترعرع في أحضانها دوافعه وميوله، فمن خلال الأسرة يتكون الأساس والقاعدة التي تنمو عليها شخصية الطفل، وترتكز عليها سلوكياته في المستقبل، ولعل في التطبيقات التالية ما يساعد الأسرة على تربية الأولاد على الشكر:

١- تعويد الطفل على دوام شكر الله تعالى:

الطفل بين يدي والديه كالعجينة اللينة يشكلانها بسهولة ويسر، ويبقى ذلك الأثر منهما على الدوام، "فإن عود الخير وعلمه نشأ عليه وسعد في الدنيا والآخرة، وشاركه في ثوابه أبوه وكل معلم له ومؤدب، وإن عود الشر وأهمل إهمال البهائم شقي وهلك، وكان الوزر في رقبة القيم عليه والوالي له" (الغزالي، د.ت، ج٣، ص٧٢). وعلى الآباء تعويد الأولاد على شكر الله سبحانه وتعالى بالأذكار التي وردت عن النبي صلى الله عليه وسلم في سائر يوم الفرد المسلم، والشكر عند حصول أمور جيدة لهم أو لمن حولهم، والتعود على شكر من مد لهم يد المساعدة صغيرة كانت أم كبيرة.

٢- التذكير بشكر نعم الله تعالى:

فنعم الله تعالى على الإنسان لا تعد ولا تحصى، وشعور الإنسان بها قليل، فالقدرة التي وهبها الله عز وجل له نعمة، والأعضاء نعمة، والصحة نعمة، وكل حركة أو سكنة للإنسان نعمة، ولن تحصى النعم، فعلى الوالدين إن يشعرا الطفل بأن لديه نعما في نفسه عليه شكر الله تعالى عليها، وإن رأى من ابتلاه الله تعالى يذكرانه بأن يشكر الله تعالى على أنه لم يبتلى، وأن ذلك سبيل الحفاظ عليها من الضرر بإذن الله تعالى.

فإن تيقنت النفس بنعم الله تعالى عليها، وأن الشكر واجب عليها، نشأ الطفل محافظا على جوارحه مع المعاصي، مقدرا نعمة الله تعالى عليه، ساعيا لمساعدة من أصابه شيء من فقد تلك النعم.

٣- إظهار الشكر أمام الأولاد:

إن من أكثر ما يمد الفرد بسلوكياته المحاكاة لمن يكبرونه سنا، وملاحظة أفعالهم وأقوالهم، "يبدأ الطفل بالنظر إلى سلوك إخوانه وأخواته، وجده وجدته، وكل من يعيش معه في الأسرة، وفي الخامسة يتعرف على الأقارب والجيران، لذا، فليحذر الوالدان من اختلاط الأسرة بأشخاص فاسدين" (الشنتوت،

١٤١٥ه، ص٢٩). فإن كانت البيئة المحيطة بالطفل بيئة شاكرة لفضل الله تعالى عليها، ظهر ذلك على الطفل قولا وعملا، وإن كانت غير مهتمة بالشكر، نشأ جاحدا لأنعم الله تعالى كافرا بها.

لذا، اهتم الإسلام بالأسرة المسلمة من قبل أن تبدأ، وحدد للرجل والمرأة أسس الاختيار، ووضع الآداب والمبادئ للعلاقة بين الزوجين، وتنشئة الأبناء بعد ذلك.

٢-دور المدرسة في تربية الفرد على الشكر

المدرسة هي المؤسسة التربوية التي تستقبل الطفل بعد الأسرة، فتكمل ما بدأ به الوالدان، فدورها مهم في تربية الفرد على الشكر، وتعزيز التصرفات الحسنة، وتعديل السلوكيات السيئة وعلاجها، ويعرض الباحث بعض التطبيقات التي تسهم في تعزيز عبادة الشكر، وتنميتها في النقاط التالية:

١- شكر المعلم للطلاب:

المعلم هو أكثر عناصر العملية التعليمية تأثيراً، فإن التزم أمرا تبعه طلابه، وإن أرشد إلى عمل اجتهدوا في تحقيقة، لذا، على المعلم ألا يغفل عن شكر الله تعالى أن أنعم عليه بهذا العمل الذي يعتبر امتدادا لرسالة الأنبياء صلى الله عليهم وسلم، وأن يجتهد في شكر طلابه على تصرفاتهم الحسنة معه أو في داخل المدرسة، وأن يدعو زملائهم لتقديم الشكر لهم.

فالنفس جبلها الله تعالى على حب الثناء، وإحاطة الطالب بالشكر والثناء، يشعره بالألفة، ويربي لديه عبادة الشكر وإن فقدها في البيت.

٢- تضمين موضوعات عن الشكر:

ينبغي على المربين أن يلحقوا موضوعات تتحدث عن شكر الله تعالى، وشكر من أسدى إلى الإنسان معروفا، وإظهار الجوانب الإيجابية لذلك على الفرد والمجتمع، فتتضح الصورة للفرد المسلم، ويعمل على تبني هذا الطريق، والاهتمام بشكر من أعانه ومد له يد العون، ومعرفة فضلهم والواجب عليه تجاههم.

فإلمام الفرد بجوانب العبادة تزيد من قدرته على التمسك بها وجعلها ديدنا له.

٣- زيارة المستشفيات ودور رعاية الأيتام:

النعم التي رزقها الله تعالى للإنسان كثيرة ولكي يعرف المرء قيمتها عليه أن يشاهد من فقدها، فالمدرسة إن نظمت زيارة لمستشفى سيشاهد الطلاب من فقدوا بعض النعم فيزدادوا شكرا لله تعالى على فضله وإنعامه، وإن زاروا دارا لرعاية الأيتام عرفوا قيمة الوالدين والأسرة، وعلموا أن النعم ليست فقط في أكل أو شرب أو مال، وإنما كل ما يمكن أن يفقده الإنسان نعمة حتى لو كان شعورا بالأمان.

المبحث الرابع: التوبة والرجوع إلى الله تعالى

التوبة مبدأ أساسي من مبادئ الدين الإسلامي الحنيف، شرعها الله تعالى لعباده ليعودوا مرة أخرى إلى جادة الصواب والحق، والسير على طريق الهدى والنور على صراط مستقيم، و لم يغلق الأبواب دونها، لعلمه سبحانه بأن ابن آدم كثير الزلل والانحراف، ودائم الانسياق وراء الشهوات والأهواء والذنوب والمعاصي، والمؤمن المتبع لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم يعجل بالتوبة إلى الله تعالى لكي تزيل عنه بإذن الله تعالى شوائب المعصية، وعلائق الذنوب.

وقد بينت قصة سليمان عليه السلام وملكة سبأ في القرآن الكريم مضمون التوبة والرجوع إلى الله تعالى على لسان ملكة سبأ، **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِي ٱلصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُۥ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (سورة النمل: آية٤٤). فرجعت عن عبادة الشمس من دون الله تعالى، وعادة للسير في ركب السائرين على دروب الحق. ويعرض هذا المبحث مضمون التوبة والرجوع إلى الله وآثاره التربوية من خلال العناصر التالية:

أولاً: تعريف التوبة

التوبة في اللغة: مصدر الفعل تاب، وأصل هذه المادة: التاء، والواو، والباء توب، وهي تدور حول معاني الرجوع، والعودة، والإنابة، والندم (ابن منظور، ١٩٩٧، ج١، ص٢٣٣).

التوبة في الاصطلاح: "ترك الذنب علما بقبحه، وندما على فعله، وعزما على ألا يعود إليه إذا قدر، وتداركا لما يمكن تداركه من الأعمال، وأداء لما ضيع من الفرائض؛ إخلاصا لله، ورجاءً لثوابه، وخوفا من عقابه، وأن يكون ذلك قبل الغرغرة، وقبل طلوع الشمس من مغربها" (الحمد، ١٤٢١ه، ص١١).

وهذا التعريف يوضح شروط التوبة، وهي:

١- أن يكون سبب التوبة حب الله تعالى وتعظيمه، والخوف من عقابه، والطمع في ثوابه.

٢- الإقلاع عن الذنب مهما كان صغيرا أو كبيرا حال وقوعه، اعترافا بقبحه.

٣- الندم على الوقوع في الذنب، فلا تصح التوبة حتى يسبق ذلك الندم على ما سلف من المعاصي، ندماً يوجب الانكسار بين يدي الله تعالى.

٤- العزم الجازم على عدم العودة للذنب في المستقبل.

٥- أن تكون التوبة قبل طلوع الشمس من مغربها، وقبل الغرغرة وحضور الأجل.

٦- رد المظالم إلى أهلها، والتحلل ممن أخطأ في حقهم بغيبة أو شتم أو قذف وغيره من حقوق الآدميين.

ثانياً: أهمية التوبة والرجوع إلى الله تعالى

التوبة عبادة عظيمة جعلها الله تعالى للإنسان ليرجع إلى خالقه، ويتذكر عقابه، ومحاسبته في يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، والنقاط التالية تبين أهميتها ومكانتها في الإسلام:

١- أن الله سبحانه وتعالى أمر عباده بالتوبة إليه، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ (سورة النور: آية٣١). "دل هذا، أن كل مؤمن محتاج إلى التوبة، لأن الله خاطب المؤمنين جميعا، وفيه الحث على الإخلاص بالتوبة إلى الله لا لمقصد غير وجهه" (السعدي، ١٤٣٢، ص٥٦٦). فالتوبة إلى الله والرجوع إليه واجب على كل مؤمن ومؤمنة.

٢- أن التوبة سبب لتكفير السيئات والفوز بالجنة، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيُدۡخِلَكُمۡ جَنَّٰتٍ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ يَوۡمَ لَا يُخۡزِي ٱللَّهُ ٱلنَّبِيَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥۖ نُورُهُمۡ يَسۡعَىٰ بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَٰنِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتۡمِمۡ لَنَا نُورَنَا وَٱغۡفِرۡ لَنَآۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ (سورة التحريم: آية٨).

٣- أنه بالتوبة تبدل السيئات حسنات، فإذا حسنت التوبة بدَّل الله سيئات صاحبها حسنات، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلٗا صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴾ (سورة الفرقان: آية٧٠). وفي هذه بشارة عظيمة للتائبين الصادقين في توبتهم.

٤- أن الله يحب عبده التائب، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلۡمُتَطَهِّرِينَ﴾ (سورة البقرة: آية٢٢٢). وذلك أن عبادة التوبة من أحب العبادات إلى الله تعالى وأكرمها، لذا كان للتائبين عنده عز وجل محبة خاصة.

٥- أن الله يفرح برجوع عبده إليه وتوبته، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لله أفرح بتوبة عبده، من رجل نزل مترلا وبه مهلكة، ومعه راحلته، عليها طعامه وشرابه، فوضع رأسه فنام نومة، فاستيقظ وقد ذهبت راحلته، حتى إذا اشتد عليه الحر والعطش أو ما شاء الله، قال: أرجع إلى مكاني، فرجع فنام نومة، ثم رفع رأسه، فإذا راحلته عنده" (البخاري، ١٤٢٢ه، ج٨، حديث رقم:٦٣٠٨، ص٦٨). فوصف فرح الله عز وجل من النبي صلى الله عليه وسلم يدل على عظم هذا الفرح، وعظم مكانة التوبة عند الله تعالى، وهذا الفرح له تأثير عظيم في حال التائب، وقلبه.

ثالثاً: الآثار التربوية للتوبة والرجوع إلى الله تعالى

التوبة عبادة خاصة خالصة بين العبد وربه، يحبها الله تعالى ويفرح بها، لها ثمار عظيمة، وفوائد جليلة، تنعكس على الفرد ومن حوله في الدنيا وما بعدها، ومن تلك الآثار:

١- تربي الفرد على الاستقامة والهداية وإصلاح النفس:

فالتائب العائد إلى ربه عز وجل تستقيم أموره، وتعتدل أحواله، فبعد ظلمة الذنب والمعصية، اهتدى إلى نور الطاعة والاستقامة على الصراط المستقيم، ومنع نفسه من الشهوات، ووجهها لعمل الصالحات، فإن صلحت نفسه صار ذلك خيرا على أسرته، وصلاحا لمجتمعه.

ذلك أن التوبة " تبدأ بالندم والإقلاع عن المعصية وتنتهي بالعمل الصالح الذي يثبت أن التوبة صحيحة وأنها جدية، وهو في الوقت ذاته ينشئ التعويض الايجابي في النفس للإقلاع عن المعصية، فالمعصية عمل وحركة، يجب ملء الفراغ الذي تحسه بعد الإقلاع" (قطب، ١٤١٥ه، ج٥، ص٢٥٨٠). فمن آثار التوبة المقبولة من الله سبحانه وتعالى على العبد تبدل الحال من فساد إلى صلاح، وتغير الأمور من اعوجاج إلى استقامة، وتحول الأفعال من الانحراف إلى القصد والاعتدال.

٢- تشعر الفرد بالراحة النفسية، والطمأنينة:

المؤمن إن اقترف ذنبا وعصى الله عز وجل، لام نفسه وشدد عليها في المسألة خوفا من الله سبحانه، ودخل في نفسه القلق والاضطراب، وحمل همّ الذنب واغتم به، فإن تاب واستغفر عن الذنب، استقرت نفسه واطمأنت، وانشرح صدره بالعودة إلى الحق بعد ضيق المعصية؛ لأن "الشعور بالذنب يسبب للإنسان الشعور بالنقص والقلق مما يؤدي إلى نشوء أعراض الأمراض النفسية، ويمدنا القرآن بأسلوب فريد وناجح، لعلاج الشعور بالذنب ألا وهو التوبة، فالتوبة إلى الله سبحانه وتعالى تغفر الذنوب وتقوي في الإنسان الأمل في رضوان الله فتخف حدة قلقه، ثم إن التوبة تدفع الإنسان عادة إلى إصلاح الذات وتقويمها، حتى لا يقع مرة أخرى في الأخطاء والمعاصي ويساعد ذلك على تقدير الإنسان لنفسه وزيادة ثقته فيها ورضائه عنها، ويؤدي ذلك إلى بث الشعور بالأمن والطمأنينة في نفسه" (نجاتي، ١٤٠٢ه، ص٢٧٤).

٣- تربية الفرد على التفاؤل، وحسن الظن:

تبث التوبة إلى الله تعالى في النفس التفاؤل، وتبعد عنها التشاؤم، وتجعل الإنسان يفكر بالمستقبل ويتطلع لحياة مليئة بالعطاء، مع الأمل وحسن الظن بالله تعالى لمواصلة المشوار في الحياة، وطمعا في كريم أجر الله تعالى وثوابه، وعلو الهمة بالعمل على كبح جماح الشهوة بعدا عن الذنوب وخوفا من عقاب الله تعالى، والمبادرة إلى العمل الصالح الذي يمحو الله تعالى به السيئات.

فعلى الفرد ألا يستسلم لليأس، ويقنط من عفو الله تعالى ومغفرته، فالله تعالى فتح بابه لكل الناس الطائع والعاصي، "فيا أيتها النفس المعذبة المتشائمة التي تتلاطم بك أمواج هذه الحياة يممي وجهك نحو ربك، واطلبي رحمته ليوصلك إلى شاطئ الأمان، فإن رحمة الله لا يعجزها شيء في الوجود، وهي قريبة

منكم إذا سألتم الله أن يمنحكم إياها، وفعلتم ما تستحقون عليه نيلها" (طبارة، ١٩٨٨، ص١٩٠). قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ (سورة الزمر: آية٥٣).

٤- تخلق مجتمعا متآلفاً متحاباً:

فالمؤمن الصادق يسارع دوما إلى التوبة من الذنب والعودة للحق، ويعلم ما له من حقوق وما عليه من واجبات تجاه إخوانه المسلمين، فلا يتعدى على أخيه المسلم وإن أخطأ تاب وطلب العفو والمسامحة، فالتوبة تحث المسلم على إعطاء كل ذي حق حقه، مما يزيد من الألفة والمحبة بين أفراد المجتمع الإسلامي، فلا أحقاد ولا ظلم ولا حسد بينهم، "فهذا هو الواجب على العبد، أن يتوب إلى الله تعالى، ويخرج من حق أخيه المسلم، باستحلاله والاستغفار، والمدح له مقابلة على ذمه" (السعدي، ١٤٣٢ه، ص٨٠٢).

وهذا الفعل ينشر المحبة بين المسلمين، ويقوي أواصر المحبة والأخوة الإيمانية بين أفراد المجتمع الإسلامي، وينمي الفضائل والأخلاق الإسلامية العالية، فالتوبة "فضيلة خلقية راقية توجد عند أصحاب الفطر العالية من الناس، لأنهم بفطرهم العالية لا يجدون في نفوسهم ما يصرفهم عن الاستجابة للحق والرجوع إليه، فلا أنانية تصرفهم، ولا عصبية تصدهم، وعزة آثمة تحجبهم عن رؤية الحق، وأما الأهواء والنوازع النفسية فإنهم يستطيعون أن يجدوا سبيلا إلى مداراتها في ظل الاعتراف بالحق والرجوع إليه" (الميداني، ١٤٢٠ه، ج١، ص٦٧٤).

٥- التوبة سبب للرخاء ورغد العيش ونيل الخيرات والعطايا:

طبيعة الإنسان حب الزيادة من كل خير، والتوبة عن الذنوب تفرح الرب سبحانه وتعالى، فيغدق على عبده بما يشرح صدره، ويجعله في رغد وطيب عيش، ويرزقه من السماء والأرض مما تتمناه الأنفس، فقد وعد الرحمن عباده التائبين بأن يمتعهم متاعا حسنا ويؤتهم من فضله، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ﴾ (سورة هود: آية٣). ومعنى الآية "اطلبوا غفرانه عما سلف منكم، ثم توبوا إلى الله بالطاعة يمتعكم متاعا حسنا، بأن تعيشوا في أمن ودعة" (الخطيب، ١٤٢٥ه، ص٤٢٦).

ومن النعم التي وعد الله تعالى عباده التائبين الغيث العميم، وقوة الأبدان، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا۟ مُجْرِمِينَ﴾ (سورة هود: آية٥٢). وفوق كل ذلك يؤتيهم الله سبحانه الأموال، والبنين،

وخصوبة الأرض وطيبها، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴾ (سورة نوح: الآيات١٠-١٢).

فالتوبة سلاح عظيم ليس فقط لتغيير الفرد إلى الأفضل، بل أيضا لتغيير المجتمعات وتحسين العيش بها ماديا ومعنويا.

رابعاً: التطبيقات التربوية للتوبة والرجوع إلى الله تعالى في الواقع المعاصر

تمثل التوبة دعامة مهمة للصلة بين العبد وربه، وفيها تتجلى معاني التربية الصحيحة بالشعور بمعية الله تعالى ورحمته ولطفه بعباده، ومحبته لهم.

ومن هنا جاء دور الأسرة والمدرسة في الاهتمام بهذا الرافد وتقويته، من خلال التطبيقات التالية:

١-دور الأسرة في تربية الفرد على التوبة والرجوع إلى الله تعالى:

يمكن للأسرة أن تربي الأبناء على الرجوع إلى الله تعالى في كل حين من خلال:

١- تكوين المعرفة لدى الأولاد:

إن المعرفة بالشيء مطلب في تكوينه وتنميته لدى الطفل، وإهمال ذلك له الأثر السلبي عليه، فالأسرة تعتبر مصدر المعرفة للطفل، ومن خلال قيام الأسرة بتوضيح مضمون التوبة للأبناء وبيانه لهم بالممارسة والتوضيح والحث عليه، يتم بناء المعرفة الصحيحة لدى الأبناء نحو التوبة والرجوع إلى الله تعالى.

ومن أهم ما تستقي منه الأسرة المعرفة بالتوبة كتاب الله عز وجل، وسنة المصطفى صلى الله عليه وسلم، ومن خلال حرص الأسرة على التعريف بالتوبة للأبناء، وتوضيح أهميتها منذ السنوات الأولى فإنهم ينشئون عليها بإذن الله تعالى.

٢- تنمية الشعور بعظمة الله جل وعلا في نفس الطفل:

فإن الرغبة التي تنشأ في داخل الفرد بالرجوع إلى الله تعالى والإنابة إليه لم تأت إلا من استشعار عظمة الله سبحانه وتعالى ومحبته، وأن الله عز وجل بيده مقاليد الأمور وهو على كل شيء قدير، وأنه سبحانه يحب التوبة من عباده، ويحب التائبين، ويحب العفو عنهم، ويكره لهم الكفر والفسوق والعصيان.

ومن عادة الطفل أن يعود عند الخطأ إلى أمه لأنها أقرب شخص إليه وأرحم قلب به، فإذا ما استثيرت العاطفة لدى الطفل من نعومة أظفاره ليعلم قرب الرب سبحانه وتعالى من عباده، ومحبته له، وعظيم رحمته به، وأنه لا ملجأ منه إلا إليه، تعلقت نفسه بالله تعالى وعاد إليه منيبا تائبا حال معصيته.

٣- تعليم الفرد الرجوع إلى الحق عند الخطأ:

فالإنسان بطبعه يحب الخير لنفسه ولو ظلما وعدوا على غيره، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴾ (سورة المعارج: آية١٩-٢١). والطبع إن لم

يتم تقويمه منذ الصغر بالتأديب والتوجيه للعمل الصحيح، استقرت نفس الفرد عليه، ورسخ اعتقادا وعملا.

فمن أدوار التربية تهذيب الطباع، وعلى الأسرة أن تعمل على زرع بوادر التوبة إلى الله تعالى في نفس الطفل عمليا، وذلك بتوضيح الخطأ الذي صدر منه وإرشاده إلى الصواب، وحثه على الاعتذار وطلب المسامحة ممن أخطأ في حقه، ثم توجيهه أن الرجوع إلى الحق يرضي الله سبحانه وتعالى، الذي يقدر له الخير دائما، ويحفظه من الشرور في الدنيا، ويدخله الجنة برحمته ويبعده عن النار.

٢-دور المدرسة في تربية الفرد على التوبة والرجوع إلى الله تعالى:

للمدرسة دور فاعل في تغيير الطلاب نحو الأفضل، وترسيخ مبدأ التوبة والرجوع إلى الله تعالى في نفس الطالب، إن وجدت معلماً ناصحاً ومرشداً داعياً إلى التمسك بالإسلام والعمل به، وذلك من خلال:

١- تكوين المعرفة العلمية الصحيحة:

يأتي الأطفال إلى المدرسة ولديهم عادة بعض المعلومات عن التوبة والرجوع إلى الله تعالى، بفعل البيئة الإسلامية التي تربوا فيها، إلا أن تلك المعرفة غير مكتملة، وهنا يأتي دور المدرسة من خلال المناهج التعليمية في مختلف المراحل لتصحيح وتنمية المعرفة التي بدأت في الأسرة.

فمن خلال المناهج التعليمة الدينية كالتوحيد والفقه والتفسير وغيرها، تعمل المدرسة على توسيع مدارك الطالب بمفهوم التوبة وأهميتها وشروط صحتها، كما أن القرآن الكريم كمادة يتلقاها التلميذ تعتبر أحد الروافد المهمة لتوضيح هذا المبدأ من خلال الآيات الحاثة عليه، والقصص التي تبين ثواب العائدين إلى الله تعالى كقصة المؤمن الذي جاء من أقصى المدينة يسعى في سورة ياسين، وعقوبة من ابتعد عن التوبة والإنابة والرجوع إلى الله تعالى، وأصر على الكفر والجحود كقصة قارون الذي أصر فخسف الله تعالى به وبداره.

٢- تعليم الطلاب قيمة التوبة بالتأمل في واقع حياتهم:

فالتأمل في الأخطاء التي وقعوا بها من واقع حياتهم، وأثرها على علاقتهم بمن حولهم يثير لدى البعض الشعور بالندم على تصرفه، ويتمنى لو أن الأمر انتهى بمجرد العودة عن الخطأ وعدم الإصرار عليه،والبعض يستفيد من تأمله أن مشاكل كبيرة كان يمكن حلها باعتذار، والرجوع إلى الحق.

يستطيع المعلم أن يبين للطلاب من خلال حياتهم أن الإصرار على الخطأ تسبب في إيذائهم بصورة مباشرة أو غير مباشرة، وأن الإصرار على الذنب في حق الله تعالى لا يمكن أن يعالج إلا بالرجوع إليه سبحانه، والتوبة والاستغفار منه.

مثل تلك الأمور ترسخ مبدأ الرجوع إلى الله تعالى، وتجعل الطالب بمساعدة نفسه وبتوجيه من المعلم يعي درسا مهما، ذلك أن الخطأ يمكن أن يحدث في أي لحظة فهذه طبيعة البشر، ولكن التوبة وعدم تكرار الخطأ سينهي الأمر لأنه يتعامل مع رب عفو كريم رحيم.

٣- الاستفادة من الإعلام المدرسي لغرس مفهوم التوبة:

يمكن الاستفادة من الجماعات المهتمة بالإعلام في المدرسة لغرس مفهوم التوبة والرجوع الله تعالى، وذلك بطرح الموضوع عن طريق الإذاعة المدرسية، وعرضه في صحيفة المدرسة، وبالتعاون مع جماعة التوعية الإسلامية بالمدرسة يمكن عمل محاضرة لتوضيح أهمية هذه العبادة، وعمل مسابقة لكتابة مقال عن آثار التوبة على الفرد والمجتمع وتوزيع الجوائز عليها، مما يساعد أيضا على تربية الناشئة على الاهتمام بالقراءة، والبحث في موضوع التوبة والرجوع إلى الله تعالى وغيره.

الفصل الرابع
المضامين التربوية المستنبطة من قصة سليمان عليه السلام وملكة سبأ في الجانب الأخلاقي

.

الفصل الرابع : المضامين التربوية المستنبطة من قصة سليمان عليه السلام وملكة سبأ في القرآن الكريم في الجانب الأخلاقي

إن للأخلاق مكانة مهمة ورفيعة، فهي من جوهر وصميم الدين الإسلامي، ولم يترك القرآن الكريم شيئا من فضائل الأخلاق إلا وتحدث عنه، وحث على الاتصاف به، وحذر من رذائل الأخلاق، وأمر بالتخلي عنها، فقد حدد الرسول صلى الله عليه وسلم الغاية الأولى في بعثته، والمنهاج المبين في دعوته بقوله صلى الله عليه وسلم: "إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق" (الحاكم، ١٤١١ه، ج٢، حديث رقم:٤٢٢١، ص٦٧٠). فكأن الرسالة التي خطت مجراها في تاريخ الحياة، وبذل صاحبها جهدا كبيرا في مد شعاعها وجمع الناس حولها، لا تنشد إلا تدعيم فضائلهم، وإنارة آفاق الكمال أمام أعينهم.

فالأخلاق وإن كانت عبارة عن "مجموعة من المعاني والصفات المستقرة في النفس وعلى ضوئها يحسن الفعل في نظر الإنسان أو يقبح" (البياتي، ١٤٣٢هـ، ص١٢). إلا أن الأمة التي لا تقوم على أخلاق فاضلة أمة ميتة، فإن "الأخلاق الحميدة ضرورة لسعادة الشعوب وازدهارها وقيام الدول وبقائها" (خياط، ١٤١٦هـ، ص٤١).

وتظهر قصة سليمان عليه السلام في القرآن الكريم مع ملكة سبأ الأخلاق الحميدة كعامل مهم في استقرار الملك والحكم، واتصاف الحاكم والمحكوم بها، لذا عمل الباحث على استنباط المضامين التربوية من قصة سليمان عليه السلام وملكة سبأ في القرآن الكريم في الجانب الأخلاقي من خلال أربعة مباحث: المبحث الأول خلق الصدق، والمبحث الثاني خلق التواضع، والمبحث الثالث خلق الأناة، والمبحث الرابع خلق الرحمة.

المبحث الأول : خلق الصدق

لقد كان صدق الهدهد في نقله للواقع الذي رأه من كفر في مملكة سبأ الأثر البالغ في تحرك نبي الله سليمان عليه السلام لتغيير ذلك الوضع، فقد "صار صدق الهدهد عذرا لأنه أخبر بما يقتضي الجهاد" (القرطبي، ١٤٢٧هـ، ج١٦، ص١٤٧). قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنِّي وَجَدتُّ ٱمۡرَأَةٗ تَمۡلِكُهُمۡ وَأُوتِيَتۡ مِن كُلِّ شَيۡءٖ وَلَهَا عَرۡشٌ عَظِيمٞ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوۡمَهَا يَسۡجُدُونَ لِلشَّمۡسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَصَدَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمۡ لَا يَهۡتَدُونَ﴾ (سورة النمل: الآيات ٢٣-٢٤). فنجا الهدهد بصدق خبره ومطابقته للواقع من الوعيد الذي رتبه سليمان عليه السلام جزاء تخلفه عن مكانه.

وتأتي صورة أخرى للصدق في قصة سليمان عليه السلام وملكة سبأ، في خبر ملكة سبأ مع الملأ من قومها حين أعلمتهم بما في رسالة سليمان عليه السلام، فلم تزيف عليهم الحقائق فصدقتهم الخبر، فصدقوها المشورة، قَالَ تَعَالَى: ﴿قَالَتۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ إِنِّيٓ أُلۡقِيَ إِلَيَّ كِتَٰبٞ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُۥ مِن سُلَيۡمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعۡلُواْ عَلَيَّ وَأۡتُونِي مُسۡلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَتۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ أَفۡتُونِي فِيٓ أَمۡرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمۡرًا حَتَّىٰ تَشۡهَدُونِ ﴿٣٢﴾ قَالُواْ نَحۡنُ أُوْلُواْ قُوَّةٖ وَأُوْلُواْ بَأۡسٖ شَدِيدٖ وَٱلۡأَمۡرُ إِلَيۡكِ فَٱنظُرِي مَاذَا تَأۡمُرِينَ﴾ (سورة النمل: الآيات٢٩-٣٣). فكان عاقبة أمرهم خيراً بدخولهم تحت ظل الإسلام مع سليمان عليه السلام، قَالَ تَعَالَى: ﴿قِيلَ لَهَا ٱدۡخُلِي ٱلصَّرۡحَۖ فَلَمَّا رَأَتۡهُ حَسِبَتۡهُ لُجَّةٗ وَكَشَفَتۡ عَن سَاقَيۡهَاۚ قَالَ إِنَّهُۥ صَرۡحٞ مُّمَرَّدٞ مِّن قَوَارِيرَۗ قَالَتۡ رَبِّ إِنِّي ظَلَمۡتُ نَفۡسِي وَأَسۡلَمۡتُ مَعَ سُلَيۡمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ (سورة النمل: آية٤٤).

ولبيان القيمة التربوية لخلق الصدق، يتناول المبحث الحالي العناصر التالية:

أولاً: تعريف الصدق

الصدق في اللغة : "الصِّدْقُ ضد الكذب" (الرازي، ١٤١٥، ص٣٧٥).

الصدق اصطلاحا :"الإخبار عن الشيء على ما هو عليه في الواقع "(العبد، ١٤٠٩هـ، ص١٧٠).

ثانياً: أهمية الصدق

الصدقِ من الأخلاق العربية الكريمة التي يمدح بها الرجل قبل الإسلام، وقد لقبت قريشا النبي صلى الله عليه وسلم بالصادق الأمين قبل البعثة، وأتى الإسلام ليعلي من مكانة هذا الخلق ويميزه بالمكانة والفضل، فالصدق:

١- وصية الله سبحانه وتعالى لعبادة المؤمنين، فالصدق مع الله جل وعلا أعظم ما يعين المرء على الحق، لذا كانت وصية الله تعالى للمؤمنين أن يصدقوا معه سبحانه، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ (سورة التوبة: آية١١٩). فيجب لزاما على المنصف العاقل الذي يعرف ما عند الله من الثواب، ويعرف ما عند الله من العقاب، أن يلجأ إلى الصدق مع الله جل وعلا.

٢- أحب الحديث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأبغض الحديث ما شابه الكذب، قال صلى الله عليه وسلم:" أحب الحديث إليّ أصدقه"(البخاري، ١٤٢٢ه، ج٣، حديث رقم:٢٣٠٧، ص٩٩). وكل ما أحبه النبي صلى الله عليه وسلم أحبه أصحابه رضي الله عنهم ويجب على كل مسلم أن يحبه اتباعاً للنبي صلى الله عليه وسلم وتقرباً إلى الله تعالى.

٣- طريق الجنة، فالصادق يوفق بإذن الله تعالى إلى فعل الخيرات الموصلة للجنة، عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:"عليكم بالصدق، فإن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا، وإياكم والكذب، فإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا" (النيسابوري، ١٤٢٧ه، ج٨، حديث رقم:٢٦٠٧، ص٢٩). فصدق الأقوال بريدٌ لصدق الأعمال وصلاح الأحوال، فالحرص على الحق والتزام الصدق يقود إلى كل جوامع الخير.

٤- سبيل للدخول في زمرة الصديقين واستحقاق ثوابهم، فالصدق "مفتاح الصديقية ومبتدأها وهي غايته، فلا ينال درجتها كاذب البتة، لا في قوله، ولا في عمله، ولا في حاله" (ابن حميد وآخرون، ٢٠٠٤، ج٦، ص٢٤٧٩). وليست الصديقية بمنزلة سهلة، ولا يمكن أن تنال بالتمني، وإنما بصدق الإرادة وصدق التوجه إلى الله عز وجل، والصدق في الأمور كلها، حتى يكتب عند الله صديقاً.

٥- عظم شأن الصدق مع الله تعالى، فإن لخلق الصدق عند الله عز وجل مكانة عظيمة، حتى أن الله تعالى يقبل من الصادق طاعته، ويجيب دعاءه، بصدق نيته، وإن لم يستطع أن يعمل بما نوى من العمل الصالح، فعن سهل بن حُنيف أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "من سأل الله الشهادة بصدق بلغه الله منازل الشهداء، وإن مات على فراشه" (النيسابوري، ١٤٢٧ه، ج٦، حديث رقم:١٩٠٩، ص٤٨). وهذا من الصدق؛ لأن من طلب الصدق وحققه حقق الله له ما يرجوه منه.

ثالثاً: الآثار التربوية لخلق الصدق

إذا تمكن الصدق من القلب سطع عليه نوره، وظهرت آثاره التربوية الحميدة على الفرد وعلى الجماعة، ومن تلك الآثار:

١- طمأنينة النفس:

إن الصدق في جميع الأحوال باطنها وظاهرها يورث الطمأنينة والسكينة في القلب، وينفي عنه التردد والريبة والاضطراب التي لا توجد إلا في حالات الشك وضعف الصدق أو عدمه، عن الحسن بن علي رضي الله عنهما قال: حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم:"دع ما يريبك إلى ما لا يريبك، فإن الصدق طمأنينة، والكذب ريبة" (الترمذي، ١٩٩٦، ج٤، حديث رقم:٢٥١٨، ص٦٦٨).

فالصادق يجد السكينة في نفسه والاطمئنان لصدقه، ويدخل الطمأنينة في نفس من يتعامل معه، لما يراه من صدقه وموافقة قوله فعله.

٢- البركة في الرزق:

فصدق المعاملة يحلل البركة، الكذب والخداع ينزعها، قال صلى الله عليه وسلم: "البيعان بالخيار ما لم يتفارقا، فإن صَدَقا وبيّنا بورك لهما في بيعهما، وإن كذبا وكتما محقت بركة بيعهما" (البخاري، ١٤٢٢ه، ج٣، حديث رقم:٢١١٠، ص٦٤).

فالأموال ببركتها لا بكثرتها، وهذه نظرة الإسلام إلى الأموال، فكم من إنسان ليس له مال، لكن الله تعالى يبارك في القليل بين يديه لتقواه، وصدقه، وحرصه على مرضاة ربه، وكم من الناس معهم الأموال الطائلة أضاعوها على الملذات والشهوات ومعصية الله سبحانه وتعالى؛ لأن الله تعالى نزع البركة منها.

٣- ثناء الناس ومحبتهم:

عن علي رضي الله عنه قال:"من كانت له عند الناس ثلاث وجبت له ثلاث: من إذا حدثهم صدقهم، وإذا ائتمنوه لم يخنهم، وإذا وعدهم وفّى لهم، وجب له عليهم أن تحبه قلوبهم، وتنطق بالثناء عليه ألسنتهم، وتظهر له معونتهم"(المقدسي، ١٤١٩هـ، ج١، ص٦٩).

فالمسلم لا تجده إلا صادقا مع الناس جميعا، لأن هدي الإسلام الذي تغلغل في كيانه علمه أن الصدق رأس الفضائل، وأس مكارم الأخلاق، الهادي إلى البر المدخل صاحبه إلى الجنة، في حين يهدي الكذب إلى الفجور المفضي بصاحبه إلى النار.

ومن يتحرى الصدق في أقواله وأفعاله، سعيا لدرجة الصديقية، وإنها لمرتبة عالية كريمة رفيعة، فلا يغش ولا يخدع ولا يغدر؛ ذلك أن مقتضى الصدق النصيحة والصفاء والإنصاف والوفاء، يقترب من قلوب الآخرين بصدقه وصفاء سريرته، ترتاح النفس لملاقاته؛ لأنه لا يُحمّل الناس عناء التفكير في واقع كلامه، واضح قوله وفعله وضوح الشمس في السماء، مطمئن إلى ربه سبحانه وتعالى، قريب منه في السر والعلن.

٤- حسن الخاتمة:

فإن العبد عندما يصدق ويتحرى الصدق فإنه يكتب عند الله صديقا ويوفق إلى قول كلمة الصدق عند موته، شهادة ألا إله إلا الله التي من كانت آخر كلامه من الدنيا دخل الجنة، فهي صدق في ذاتها لا يوفق إليها إلا صادق موقن بها عارف بمضمونها، تخلص قلبه من التعلق بغير الله.

٥- الانشغال بإصلاح النفس:

إن من ألد أعداء الإنسان انشغاله بعيوب غيره بالنقد والتقويم، وينسى نفسه والتفتيش عن عيوبها، أما من اتخذ من الصدق طريقا يسير عليه، فإنه يصدق مع نفسه أولا، وينشغل بإصلاحها وتقويمها أكثر مما يعطيه لغيرها، فيحاسبها ويربيها على الخير، فلا عُجب في قلب المسلم الصادق، ولا أحقاد أو تصيد لأخطاء وعثرات إخوانه المسلمين.

٦- قبول الحق والتسليم له:

إن من علامات الصدق لدى المسلم إذعانه للحق وقبوله من أي أحد كان، فالصادق يبحث عن الحق الذي يتعبد به لربه عز وجل ويقربه إلى مولاه، وإذا بان له الحق، فرح به ووجد فيه بغيته، فلا كبر أو استعلاء، ولا تعصب للآراء، كما أن قبول الحق والتمسك به يدعو الصادق إلى الصدع به، فلا يخاف في الله لومة لائم، ولا يجامل ولا يداهن.

رابعاً: التطبيقات التربوية لخلق الصدق في الواقع المعاصر

من الأخلاق التي يتمسك بها المسلم الصدق، ذلك أنه دلالة على ثقته بالله تعالى، وأنه موقن بأن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، وتلك دعامة مهمة لزرع الثقة بين المسلم ومن يتعامل معهم.

ففي الصدق تظهر التربية الإسلامية الصحيحة، التي تشعر الفرد من صغره بالأمان، وتربية على مواجهة الأخطاء دون خوف وتردد.

ولأهمية هذا الخلق العظيم تستعرض الأفكار التالية بعض ما يمكن للأسرة والمدرسة أن تقدمه من تطبيق للاهتمام بهذا الرافد وتقويته:

١-دور الأسرة في تربية الفرد على الصدق:

للأسرة دور بارز في تربية الأولاد على الصدق مع أنفسهم، والوفاء والصدق مع خالقهم، "فالأسرة هي المجتمع الصغير الذي يتم من خلاله تدريب الطفل وتوجيهه للخروج فيما بعد إلى المجتمع الكبير، فإما أن يخرج حصناً قويا قادراً على المواجهة، وإما أن يكون ضعيفا مستكيناً خاملا وبلا مبادئ" (الزواهرة، والطعامنة، ٢٠٠٦، ص٣٥). فهي التي تغرس الأسس والمبادئ في الطفل لتنمو معه شيئا فشيئا، وتزهر عليه ثم على المجتمع الخير والبركة.

ولعل التطبيقات التالية توضح بعض ما يمكن للأسرة تقديمه لغرس خلق الصدق في أبنائها:

١- التعامل مع أخطاء الفرد بالرفق واللين:

فالإنسان يصدق مع من يعامله بالرحمة والرفق، ويدفعه للحق بالكلمة الطيبة والموعظة الحسنة، لذا، امتن الله تعالى على محمد صلى الله عليه وسلم بأن جعله رحيماً، ولو كان غليظ القلب لانفض الناس من حوله، قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ ﴾ (سورة آل عمران: آية١٥٩).

والأصل في الطفل عدم الكذب على الوالدين لأنهما مصدر أمنه وسعادته، فعليهما أن يستمعا له، ويرشداه إلى الصواب عندما يخطئ بأسلوب رفيق هين لين، ويدركا حاجته النفسية للأمن والاحتواء، ويضعا نصب عينيهما أن الخطأ سيصدر منه، لأنه في مرحلة يتعلم فيها السلوك والتصرفات، فلا عقاب بدني، ولا توبيخ لفظي يزرع في نفسه الخوف، فيضطر إلى الكذب تجنبا للعقاب، وابتعادا عن الإهانة.

٢- احترام عقل الطفل وتجنب استخدام الكذب معه:

من الآباء من يعود أبنائه على الكذب دون أن يشعر بذلك، فيطلب منه الإخبار عما يخالف الواقع، كأن يطلب منه الاعتذار للطارق بقوله: والدي غير موجود، وواقع الحال خلاف المقال، مما يجعل مقاييس الصواب والخطأ تختل لدى الطفل، فيبقى في قرارة نفسه أن الكذب شيء طيب ومفيد ويمكن استخدامه للتخلص من الأمور المزعجة.

ويتكرر الأمر من الآباء في إفساد الأبناء، بالوعود المزيفة الكاذبة تشجيعا للطفل ورغبة منهم في شحذ همته للعمل، فإذا ما أنجز اختفت الوعود بتسويف وإهمال أو استخفاف بعقل الطفل، فينشأ الطفل وقد تعلم أساليب خاطئة، وتصرفات غير مسؤولة كاذبة.

فعلى الآباء أن يطابق قولهم واقعهم، ويحافظوا على نظرة أبنائهم للتصرفات الصحيحة والخاطئة، فلا إخلاف للوعد، ولا خداع أو غش في التعامل مع عقل الطفل، لينشأ سويا متزناً مميزاً للصواب الذي رباه الوالدان عليه والخطأ الذي يشاهده في المجتمع.

٣- صدق الوالدين مع الله تعالى بحفظ الأولاد من الفساد:

الصادق هو من يلتزم بالصدق مع الله تعالى قبل التزامه بالصدق مع عباده، ومن الصدق مع الله تعالى تربية الأبناء على الصلاح وتعلم الخير والابتعاد عن الشر، وحفظهم من النار كما أمر الله سبحانه وتعالى، قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ (سورة التحريم: آية٦).

ومن الصدق مع الله تعالى الحرص على تعليم من استرعاهم الله تعالى إياه أمور دينهم ودنياهم بتيسير العلم النافع لهم، وتوجيههم نحو الحق والخير وأداء الطاعات، وإبعادهم عن المفاسد، فلا يجلب لبيته ما يفسد أبنائه كالقنوات الفضائية الناشرة للفساد، ولا يشغلهم بالملاهي ويعلق قلبهم بغير الله تعالى.

فالطفل إن نشأ في أسرة تسعى لوقاية أبنائها من النار، واستجلاب المصالح لهم، ودرء المفاسد عنهم، عرف طريق الحق، وصار الصدق رفيق حياته؛ لأن الكذب لا يأتي من النفس المؤمنة الصالحة، التي عرفت أن الله تعالى مطلع عليها، ونشأت في محيط يدعوها للخير دوماً، ويعلمها دروب السعادة بالله تعالى وحده.

٢–دور المدرسة في تربية الفرد على الصدق:

إن من واجب المدرسة التربية الجادة لأبناء المجتمع، وإنشاء جيل مؤمن بالله تعالى، صادق في كل أحواله، يعرف سبب وجوده في هذا الكون، فيسعى لإعمار الأرض، ونشر الفضائل وفي مقدمتها الصدق مع الله تعالى ومع رسوله صلى الله عليه وسلم ومع الناس أجمعين، واجتثاث الرذائل وعلى رأسها الكذب.

ويستطيع المربين –بإذن الله تعالى– ترسيخ خلق الصدق في نفوس الطلاب من خلال:

١– استخدام التعزيز لسلوك الطالب الإيجابي:

إن من طبيعة الأطفال حب لفت الأنظار إليهم، وتكرار التصرف الذي جعلهم موضع اهتمام، فإذا اهتم المعلم بالسلوك الإيجابي نما في أنفسهم حب ذلك السلوك، وإن لفت نظره السلوك السلبي عرف الطفل طريقا لجذب اهتمام المعلم إليه ولو كان بالتوبيخ والعقاب فأصر على فعله.

لذا، على المعلم إن كذب الطالب في أمر ألا يجعله قضية كبيرة، ولكن يكتفي بتنبيه الطالب مرة واحدة دون أن يشعره بأهمية الموضوع، ودون اتهام مباشر له بالكذب، وعندما يقول الصدق فإنه يتم الثناء عليه أمام زملائه ليكون قدوة لهم، وإن كان الصدق في مجال الاعتراف بعمل خاطئ اقترفه، يغدق عليه الثناء والمديح بصورة أكبر، ويخفف عليه العقاب المترتب على الفعل، وإن كان الفعل يمكن التجاوز عنه يعفى من العقاب لصدقه.

٢– تعليم الطالب أن الصدق نجاة لصاحبه:

فالإنسان يسعى دوما لما فيه الخير والنجاة من المهالك، والصدق أهم ما ينجي الإنسان في الدنيا والآخرة، وكل ما يتعلق بالإسلام يربي على الصدق، ويحث على التمسك به لخير العاقبة.

والمعلم البصير بحاجة طلابه إلى معرفة طريق السلامة، عليه أن يربي الصدق في نفوسهم، ويبين لهم من خلال الأخبار الثابتة الصادقة للأنبياء عليهم السلام وعباد الله الصالحين، وسيرة سيد المرسلين عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم، أن الصدق درب النجاة والتوفيق، كخبر الثلاثة الذين خلفوا في سورة التوبة من القرآن الكريم، وكيف كان عاقبة صدقهم، وعاقبة كذب المنافقين.

ويرشدهم إلى قوله تعالى لعيسى عليه السلام يوم القيامة، **قَالَ تَعَالَى:** ﴿ قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوۡمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدۡقُهُمۡۚ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ

ٱلۡعَظِيمُ ﴾ (سورة المائدة: آية١١٩). وأنه من ظن أن الكذب يمكن أن ينجيه في الدنيا ساعة، فإنه لن ينجو إلا من صدق في الدنيا بعد قيام الساعة.

٣- رفع سقف أهداف الطالب:

إن التربية العشوائية التي تخلوا من الأهداف والغايات لا تؤتي ثمارها، والشخص الفارغ من الأهداف لا يحقق إلا ما يريده الآخرون منه، لأن اجتهاد الفرد ينبع من سعيه لتحقيق هدفه، وهو على استعداد لأجل ذلك أن يتنازل عن الكثير مقابل الوصول إلى مبتغاه، لذا، حث النبي صلى الله عليه وسلم المسلم أن يكون هدفه الآخرة، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:"من كانت الآخرة همه، جعل الله غناه في قلبه، وجمع له شمله، وأتته الدنيا وهي راغمة، ومن كانت الدنيا همه، جعل الله فقره بين عيينه، وفرق عليه شمله، و لم يأته من الدنيا إلا ما قدر له" (الترمذي، ١٩٩٦، ج٤، حديث رقم:٢٤٦٥، ص٢٢٤).

فيجب على المعلم أن يربط حياة الطالب بالأهداف العالية النبيلة لا بتوافه الأمور والأهداف الهابطة، ويعلي في نفسه الهمة لخدمة الأمة، ويحدد له أهدافا تسمو به لرضا الله سبحانه وتعالى، فيقول للطالب: إن لك أمة تنتظرك، وإن لك دوراً ينتظرك في الدعوة إلى الله تعالى، والجهاد في سبيله.

فيخرج جيلا صادقا تسمو أهدافه وترتفع إلى السماء، وتعلو به همته للمجد، فيشعر بالفخر والانتماء لدين الإسلام، ويصبح صدق الأقوال والأعمال دليلاً على هدفه المنشود، فيرتفع بخلقه عن الكذب والخداع اتباعا للنبي الكريم صلى الله عليه وسلم ورغبة في مرافقته ونيل شفاعته يوم الدين.

المبحث الثاني: خلق التواضع

التواضع خلُق رفيع يتفضل الله سبحانه وتعالى به على من يشاء من عباده، فهو نعمة عظمى، وعطية كبرى، من اتصف به رفع الله تعالى قدره، وأعلى مترلته، وفي معرض آيات الله الكريمة من قصة نبي الله سليمان عليه السلام وملكة سبأ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ﴾ (سورة النمل: آية٤٠). فتصرف نبي الله سليمان عليه السلام يظهر منه خلق التواضع،فلم تدخل القوة والسلطة والمكانة والتمكين في نفسه عليه السلام الكِبْر بل ازداد تواضعاً وذلةً لله تعالى، "فلما وجد سليمان طلبه مجابًا، وأمره مطاعًا سارع إلى ضبط النفس في سلك الخشية ومنهاج التواضع والطاعة لله رب العالمين" (الصَّلاَّبي، ١٤٢٢هـ، ١٦٠). وهذا دأب عباد الله المخلصين تزيدهم النعم تواضعاً ومعرفة بفضل المنعم سبحانه وتعالى.

ولأهمية خلق التواضع وآثاره التربوية على الفرد والمجتمع، يتناول هذا المبحث العناصر التالية:

أولاً: تعريف التواضع

التواضع في اللغة: "يقال: وضعت الشيء أضعه وضعاً، وهو ضدّ رفعته. ورجل وضيع، وقد وضُع يَوْضُع وَضَاعة وضَعَةً. وهو ضدّ الشريف. والتواضع التذلّل" (الأزهري،٢٠٠١، ج٣، ص٤٨).

التواضع اصطلاحا: "لين الجانب وخفض الجناح، ونقيضه الكبر، ويخالف المهانة والذل" (صبحي، ٢٠١٠، ص١٤٨).

ثانياً: أهمية التواضع

التواضع خلق إسلامي عظيم، وصفة كريمة، حث عليها الإسلام ورغب فيه، فهو من مكونات الشخصية السوية التي يسعى الإسلام إلى إيجادها في أفراده، والنقاط التالية تبين أهمية خلق التواضع:

١- أمر الله سبحانه وتعالى عباده بالتواضع، عن عياض بن حمار رضي اللّه عنه أنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم قال ذات يوم في خطبته:"إن الله أوحى إلي أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد ولا يبغي أحد على أحد" (النيسابوري، ١٤٢٧ه، ج٨، حديث رقم:٢٨٦٥، ص١٦٠). فإن زال الفخر ورأى كل مسلم أنه لا فخر له على أخيه زال الكبر من النفوس، وإن زال الكبر لم يظلم أحدٌ أحدا.

٢- خلق النبي صلى الله عليه وسلم، فالتواضع من أبرز صفات النبي صلى الله عليه وسلم، الذي خير أن يكون ملكا نبيا أو أن يكون عبداً رسولا فاختار التواضع، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال :"جلس جبريل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فنظر إلى السماء فإذا ملك يترل فقال جبريل:إن هذا الملَك

ما نزل منذ يوم خلق قبل الساعة. فلما نزل قال: يا محمد أرسلني إليك ربك قال أفملكاً نبياً يجعلك أو عبدا رسولا. قال جبريل: تواضع لربك يا محمد. قال: بل عبدا رسولا" (الشيباني، ١٤١٩ه، ج٢،حديث رقم:٧١٦٠، ص٢٣١).

٣- أن الجنة هي جزاء المتواضعين، فقد وعد الله تعالى عباده الذين نبذوا الكبر عن أنفسهم، وتواضعوا له سبحانه بالفوز يوم القيامة، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (سورة القصص: آية٨٣). فمن لم تكن له إرادة في التكبر والعلو والإفساد في الأرض، فإرادته مصروفة لله تعالى والتواضع لعباده، والإصلاح في الأرض: "والمسلم الحق لا يتكبر، ولا يصعر خده للناس، ولا يشمخ عليهم، مستعليا متجافيا منتفشا؛ لأن هدي القرآن ملء سمعه وقلبه وروحه، يهتف به أن المتكبرين إذا طاب لهم التبختر والتعالي والانتفاش كالديكة في هذه الدنيا الفانية، فإنهم قد خسروا الآخرة الباقية" (الهاشمي، ١٤٢٣هـ، ص٢١٣).

٤- سبب لمنع غضب الله تعالى، فالتواضع خلق عباد الله الصالحين، ومن تركه فقد أصاب نفسه بالكبر، وحاد عن طريق الأنبياء عليهم صلاة الله تعالى وسلامه، وتعرض لسخط الله تعالى، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:"بينما رجل يتبختر يمشي فى برديه قد أعجبته نفسه، فخسف الله به الأرض فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة" (النيسابوري، ١٤٢٧ه، ج٦، حديث رقم: ٥٥٨٨، ص١٤٨). وفي هذا تحذير عظيم من الكبر، والدعوة إلى التوسط في اللباس والتواضع لله تعالى.

ثالثاً: من الآثار التربوية لخلق التواضع

التواضع فضل من الله تعالى، يرزقه من يشاء، ويحرمه من يشاء، فهو نعمة عظمى، ومنة جلية، وعطية كبرى لما له من الآثار على الفرد المتخلق به، وعلى المجتمع المتواضع أبنائه، ومن تلك الآثار والثمرات الطيبة:

١- محبة الله سبحانه وتعالى:

فالتواضع من الأخلاق المحببة إلى الله تعالى، لأن المتواضع لا يرى لنفسه فضلا على أحد بل الفضل كله لله تعالى، فهو دائم الشكر لربه، معترفا بفضله، معينا لعباده ويرى الفضل لله تعالى أن يسره لمساعدهم، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ (سورة المائدة: آية٥٤).

٢- الرفعة في الدنيا والآخرة:

فكلما ازداد المرء تواضعا ازداد بذلك رفعة، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:"ما تواضع أحد لله إلا رفعه الله" (النيسابوري، ١٤٢٧ه، ج٨، حديث رقم٦٧٥٧، ص٢١). فأسلوب الحصر يدل على أن من أراد الرفعة في الدنيا والآخرة عليه بالتواضع.

٣- انتشار المحبة:

فالتواضع سبب لنشر الألفة والمودة بين أفراد المجتمع، لأن المتواضع هينٌ، لينٌ، رفيق بمن حوله، قريب منهم ومن قلوبهم، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ ۖ ﴾ (سورة آل عمران: آية١٥٩).

٤- سيادة العدل:

فالمجتمع المتخلق أفراده بخلق التواضع يسوده العدل؛ لأن المتواضع لا يستنكف من العودة إلى الحق، وهو أساس التواضع.

٥- الرحمة بين أفراد المجتمع:

فالتواضع خلق يحث المسلم على رحمة الآخرين، فإذا بالرحمة تنتشر بين أفراد المجتمع، "مرّ علي بن الحسين وهو راكب على مساكين يأكلون كسراً لهم، فسلم عليهم فدعوه إلى طعامهم، فتلا هذه الآية ﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (سورة القصص: آية٨٣). ثم نزل وأكل معهم، ثم قال: أجبتكم فأجيبوني، فحملهم إلى مترله فأطعمهم وكساهم وصرفهم" (القرطبي، ١٤٢٣ه، ج١٣، ص٣٢٠).

فالمتواضع يتآلف قلوب المسلمين على اختلاف طبقاتهم لما امتلأ قلبه من الرحمة والشفقة عليهم، وتراهم يبادلونه الأمر بالمحبة والرحمة به.

٦- صلاح المجتمع:

فالمتواضع لا يرى نفسه إلا واحدا من الناس مهما علا مترلة، فهو هين لين ينصح الآخرين، ويقبل النصح من الآخرين، فالمجتمع الذي اتصف أهله بهكذا خلق مجتمع متماسك متكاتف لا يسقط أفراده في شرك المفاسد بسهولة، لأنهم كالجسد واحد إن مرض عضو تداعى له سائر الأعضاء فلا فرق بينهم.

رابعاً: التطبيقات التربوية لخلق التواضع في الواقع المعاصر

خلق التواضع من الأخلاق الإسلامية الفاضلة التي تزيد العبد قربا ومحبة من الله تعالى ومن عباده، وتجمع القلوب على التآلف والمودة والرحمة، وكلما كان العبد أكثر تواضعا، عظم في أعين الناس ورفع الله تعالى مكانته بينهم، بينما المتكبر يبغضه الله تعالى ويبغضه خلقه، من هنا يتوجب الاهتمام بالتربية على خلق التواضع، والابتعاد عن خلق الكبر والعجب.

ومن خلال الطرح التالي يحاول الباحث استعراض تطبيقات عملية يمكن للأسرة والمدرسة أن تستفيد منها في تربية النشء على خلق التواضع:

١-دور الأسرة في تربية الفرد على خلق التواضع:

الأسرة هي الوعاء الأول الذي يوجد فيه الشخص، والتربة التي يترعرع فيها ويتشرب أخلاقه منها وتترسم عنها سلوكياته، والتواضع كغيره من الأخلاق الإسلامية التي تتأثر بالتربية والجو الأسري، وكلما التزمت الأسرة بهذا الخلق وتمثلت به، كان أولادها أكثر تطبيقا له.

ويمكن للأسرة تعليم الأبناء خلق التواضع من خلال:

١- أداء بعض العبادات في البيت أمام الأولاد:

فالعبادات من أعظم مظاهر التواضع لله عز وجل والخضوع له، وأهم عوامل التربية على خلق التواضع؛ لأن فيها ذل وانكسار لله تعالى، وإظهار لحاجة الإنسان وضعفه والافتقار إليه سبحانه، وأنه لا فضل للإنسان في شيء وإنما الفضل لله تعالى وحده.

فإن رأى الطفل من الوالدين الدعاء وطلب التوفيق والخير في الدنيا والآخرة من الله تعالى، والتقرب إليه بالسنن والنوافل من الطاعات كالصلاة والصيام والصدقات، وشكره على تجدد النعم، وتسميتهم بالله تعالى قبل الأكل والشرب، وحمد الله سبحانه، سيرسخ في نفسه أنه لا حول ولا قوة إلا بالله تعالى، وأن عليه التواضع والانكسار لله تعالى والتذلل إليه وطاعته حتى يوفقه في الدنيا، ويدخله الجنة في الآخرة.

٢- حسن التعامل مع الآخرين وإظهار التقدير والاحترام لهم:

التواضع لين الجانب في غير مهانة، وخفض الجناح في غير مذلة، وكل خلق له جانب من الإفراط والتفريط، والتواضع إن فرط فيه الإنسان أصبح كبراً ممقوتاً من الله تعالى ثم من الناس، وإن أفرط فيه صاحبه أصبح ذلاً ومهانة والمؤمن وسط في كل شيء.

فتعليم الأبناء لخلق التواضع إن لم يصاحبه تطبيق من الوالدين به فإنه سيصبح طي النسيان أو سيكون التطبيق خاطئاً، لذا، على الوالدين أن يعملا على تطبيق خلق التواضع أمام أبنائهم من خلال بر الوالدين والإحسان إليهما وخدمتهما والتواضع لهما ولين الجانب معهما، وإظهار تقديرهما والتذلل رغبة في رضاهما فإن رأى الأبناء ذلك علموا من أحق الناس بأن يتواضع لهم وإن أصبح التواضع ذلاً فلهما الحق الذي ليس لغيرهما، وهل جزاء الإحسان إلا الإحسان؟.

التواضع مع الجيران والأصدقاء بزيارتهم وإجابة دعوتهم وملاطفتهم ومساعدتهم والسؤال عن أحوالهم، دون النظر إلى مراكزهم الاجتماعية، والتواضع مع الخدم وعدم جرح مشاعرهم أو هضم حقوقهم أو تكليفهم ما يشق عليهم دون مساعدتهم عليه.

إنزال الناس منازلهم باحترام وتوقير كبار السن وأهل الفضل كالعلماء والمعلمين ونحوهم، وعدم التنقص منهم.

٣- التكافل الاجتماعي:

التكافل الاجتماعي أحد مظاهر الدين الإسلامي السمح، والذي يزيل الطبقات والفوارق بين الأغنياء والفقراء، ويخفف معاناة الضعفاء والمساكين والأيتام، ويجعل المجتمع أسرة واحدة لا يتجزأ، وذلك من خلال بذل المال للمحتاج ومشاركة الأيتام والمساكين أفراحهم وأحزانهم.

لذا، يعتبر التكافل الإجتماعي من أهم عوامل التربية على خلق التواضع، فمن خلاله يتم التفاعل مع الفقراء والمساكين ومخالطة الأيتام والإحساس بمعاناتهم والعمل على رفعها، فيتربى الطفل على العطاء وتزرع في نفسه بذور التواضع، ويعلم أنه جزء من مجتمع متماسك بروابط الأخوة الإسلامية.

٢- دور المدرسة في تربية الفرد على خلق التواضع:

المدرسة مؤسسة اجتماعية تربوية قادرة على تشكيل شخصية الطالب من خلال ما تقدمه من معارف وعلوم تنمي الفكر وتهذب السلوك، ومن هنا يأتي دور المدرسة في تربية الطلاب على خلق التواضع من خلال التطبيقات التالية:

١- توضيح المقياس الحقيقي للتفاضل بين الناس:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ (سورة الحجرات: آية١٣). "فجميع الناس في الشرف بالنسبة الطينية إلى آدم وحواء عليهما السلام سواء، وإنما يتفاضلون بالأمور الدينية وهي طاعة الله تعالى ومتابعة رسوله صلى الله عليه وسلم" (ابن كثير، ١٤٢٠ه، ج٧، ص٣٨٥). فمقياس التفاضل الحقيقي هو التقوى، والإنسان التقي هو الأقرب إلى الله تعالى، "أما الغنى أو العلم أو الوجاهة أو كثرة العشيرة فليست مقياساً للتفاضل ولا يجوز أن تكون سبباً للتفاخر إذا جردت من التقوى"(مبيض، ٢٠١٠، ص٢٣٣).

لذا، على المدرسة من خلال مناهجها التعليمية أن تغرس في نفس النشء التواضع من خلال توضيح أهم العوامل المؤدية إليه وهو معرفة أصل الإنسان، وأن منشأ الجنس البشري واحد، فالخلق كلهم من آدم وآدم خلق من تراب، وما دام أصل الناس من تراب وأنهم عائدون إلى التراب، فلا مجال للكبر والتعالي على خلق الله تعالى.

٢- استخدام التعلم التعاوني في العملية التعليمية:

فالطالب بحاجة إلى الاختلاط مع فئات مختلفة والاندماج معها، ومشاركتها العمل والشعور معها بالإنجاز وتحقيق النجاح، مما يكسر حاجز الكبر في النفس ويدعوها للتواضع؛ لأن إنجاز الأعمال والنجاح

له أثر عظيم في فرح النفس وبهجتها لذا، هي تسعى نحو ذلك الشعور دوما من خلال التواضع والعمل مع الآخرين لتحقيق إنجازات أخرى.

ويمكن للمعلم تدريب الطلاب على التواضع من خلال التدريس باستخدام التعلم التعاوني وتكوين المجموعات للتشارك في إنجاز جزء من الدرس، وذلك بتشكيل مجموعات متغيرة في كل حصة، وتغيير قائد المجموعة كل مرة، وتقديم الهدايا للمجموعات المتميزة والمتعاونة، كل ذلك يكسر الحواجز بين الطلاب ويخضع النفس ويزيل الفوارق.

٣- بيان أسباب الكبر ومظاهره وعقوبته:

إن الشريعة الإسلامية تحتوي على آداب ومعارف كفيلة بأن تعلم الفرد وتوجهه نحو خلق التواضع، وتحذره في الوقت ذاته وتبعده عن الكبر والغرور وتبين أسبابه ومظاهره وعقوبة المتخلق به في الدنيا والآخرة، فقد نهى الله سبحانه وتعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم عن الكبر والتفاخر بالأنساب والمال والولد والعلم، ونهى عن مظاهر المتكبرين كإطالة الثياب وجرها بطراً ورياء، وتصعير الخد بالعبوس والتجهم في وجوه الآخرين، والمشي باختيال وتبختر، وتحقير الناس والتقليل من شأنهم، وأوضح عقوبة المتكبر بسخط الله تعالى عليه، ودخوله النار.

لذا، فلابد أن يحرص القائمون على تطوير المناهج أن تصاغ المقررات الدينية بشكل يتبين من خلاله أسباب الكبر ومظاهره وعقوبته بأسلوب يتناسب مع عقلية الطالب، وكذلك على المعلم أن يسعى للتحذير من تلك المظاهر والتنبيه على فاعلها بأنه يسير في طريق يغضب الله تعالى وينتهي بصاحبه في النار، فإن زالت عوارض الكبر طبع الإنسان على خلق التواضع وأصبح سجية له.

المبحث الثالث: خلق الرحمة

الرحمة خلق كريم حث عليه الإسلام ورغب فيه، ووعد الله سبحانه وتعالى صاحبه بالأجر العظيم، إن تخلق به مجتمع ربط أفراده بصلات من المودة والمحبة والتعاطف، وقد جاء ذكره في آيات قصة سليمان عليه السلام وملكة سبأ من سورة النمل، **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ **إِنَّهُۥ مِن سُلَيۡمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ** ﴾ (سورة النمل: الآية٣٠). فالرحمن الرحيم "هما وصفان لله تعالى، واسمان من أسمائه الحسنى، مشتقان من الرحمة على وجه المبالغة، والرحمن أشد مبالغة من الرحيم؛ لأن الرحمن هو ذو الرحمة الشاملة لجميع الخلائق في الدنيا، وللمؤمنين في الآخرة، والرحيم ذو الرحمة للمؤمنين يوم القيامة" (الشنقيطي، ١٤١٥ه، ج١، ص١٥). وابتداء سليمان عليه السلام الكتاب بصفتي الرحمة ليظهر أساس الدعوة لله تعالى وأن أصل التشريع الإلهي للناس مبني على الرحمة في الدنيا بتوحيد الله تعالى والتحرر من عبادة مخلوق لا يضر ولا ينفع وفي الآخرة بالنجاة من النار والفوز بالجنة.

ولتوضيح خلق الرحمة وآثاره التربوية لابد من إلقاء الضوء على العناصر التالية

أولاً: تعريف الرحمة

الرحمة في اللغة: الرحمة لغة: من رَحِمَ وتعني الرقة والعطف والرأفة (الرازي، ١٤٢٣ه، ج٢، ص١٩).

الرحمة اصطلاحاً: "رقة في النفس تبعث على سَوق الخير لمن تتعدى إليه" (ابن عاشور، ٢٠٠٠، ج٢٦، ص٢١). وهذا في حق المخلوق لا الخالق سبحانه وتعالى لأنها رقة في النفس وهذا نقص يتنزه عنه الله سبحانه وتعالى لأن الله عز وجل ليس كمثله شيء ولا يمكن وصف رحمته سبحانه.

ثانيا: أهمية خلق الرحمة

إن المتدبر لكتاب الله الكريم يلاحظ أن لخلق الرحمة شأن عظيم ومكانة كبرى في الإسلام، ومما يبين تلك المكانة:

١- أن الله تعالى وصف ذاته سبحانه بالرحمن الرحيم، وجعلها من أسمائه عز وجل، وكتب على نفسه سبحانه الرحمة، **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ **وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلۡ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡۖ كَتَبَ رَبُّكُمۡ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَۖ أَنَّهُۥ مَنۡ عَمِلَ مِنكُمۡ سُوٓءَۢا بِجَهَٰلَةٖ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعۡدِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٞ رَّحِيمٞ** ﴾ (سورة الأنعام: آية٥٤). فما من تائب إلا وجد الله تعالى تواباً رحيماً يغفر الذنب ويقبل التوب.

٢- أن الرحمة خُلق النبي صلى الله عليه وسلم، وصفه به الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم، **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ **لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم**

بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (سورة التوبة: ١٢٨). فقد جسد الرحمة صلى الله عليه وسلم، ونبّه كلَّ من أراد السير على نهجه صلى الله عليه وسلم بأن يتخذ الرحمة شعارا ودثارا، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:"يا أيها الناس إنما أنا رحمةٌ مِهداة" (الحاكم، ١٤١١ه، ج١، حديث رقم:١٠٠، ص٩١). فقد تخلقت نفسه الزكية صلى الله عليه وسلم بالرحمة "قال أبوبكر بن طاهر: زَيّن الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم بزينة الرحمة؛ فكان كونه رحمة، وجميع شمائله وصفاته رحمةً على الخلق" (اليحصبي، ١٤٠٤ه، ج١، ص١٨). فعلى المسلم أن يكون مقصوده نفع الخلق، والإحسان إليهم مطلقا، وهذا ما كان عليه الرحيم محمد صلى الله عليه وسلم.

٣- أن التشريع الإسلامي مبني على الرحمة، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ (سورة الأنبياء: الآية١٠٧). فكل ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم رحمة من عند الله تعالى لحفظ ورعاية مصالح العباد، ودرء المفاسد عنهم، وإعدادهم للظفر بالسعادة الدائمة بالجنة، يقول السعدي رحمه الله:"فالشريعة كلها مبنية على الرحمة في أصولها وفروعها، وفي الأمر بأداء حقوق الله، وحقوق الخلق، فإن الله لم يكلف نفسا إلا وسعها... وإذا تدبرت ما شرعه في المعاملات، والحقوق الزوجية، وحقوق الوالدين، والقرابة، وجدت ذلك كله خيرا وبركة" (السعدي، ١٤٢٦ه، ص٥٣). فسائر ما شرع الله عز وجل مبناه على الرحمة، وإن عدم الإنسان بعقله القاصر فهم الحكمة فالأصل هو الرحمة.

٤- سبب لدخول الجنة، فمن يرحم يُرحم كما أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "ما من الناس مسلم، يموت له ثلاثة من الولد لم يبلغوا الحنث، إلا أدخله الله الجنة بفضل رحمته إياهم" (البخاري، ، ج٢، حديث رقم: ١٣٨١، ص١٠٠). فالله عز وجل يجازي العبد المسلم المتصف بالرحمة بإدخاله الجنة لأنه لن يدخلها أحد بعمله وإنما برحمة الرحمن الرحيم سبحانه، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ليس أحد ينجيه عمله. قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟. قال: ولا أنا، إلا أن يتداركني الله منه برحمة" (النيسابوري، ١٤٢٧ه، ج٤، حديث رقم:٢٨١٦، ص٢١٧٠). فالرحمة أصل عظيم في جلب الخير في الدنيا والآخرة.

٥- أن الرحمة من صفات المؤمنين المتبعين للنبي صلى الله عليه وسلم، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ﴾ (سورة الفتح: آية٢٩). فلما علم الصحابة رضوان الله عليهم منزلة الرحمة اتصفوا بها، فحققوا بذلك المجتمع الإسلامي المتراحم الذي دعا له نبي الرحمة صلى الله عليه وسلم وحثّ أمته صلى الله عليه وسلم لتكون أمة رحمة تشع بالخير والبركات على الناس جميعا.

ثالثاً: الآثار التربوية لخلق الرحمة

الرحمة خلق فطري يحرص المسلم على الاتصاف به وتربية النفس عليه لما له من آثار جليلة على الفرد والمجتمع منها:

١- الرحمة من أسباب جلب محبة الناس:

فالقلب العامر بالرحمة والشفقة يسعى دوماً لجلب الخير لنفسه ولغيره، وقد جبلت القلوب على محبة من يحسن إليها ويرأف بها، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ ۖ ﴾ (سورة آل عمران: آية١٥٩). فقد امتن الله سبحانه وتعالى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم بأن جعله رحيما بالناس فأحبوه وسمعوا منه الحق فكان الطريق بينهم وبين هداية الله تعالى، لأن الناس تبتعد عمن قسى قلبه ونزعت منه الرحمة ولا تقبل ما يأتي منه ولو كان حقا، فعلى كل من يريد الدعوة إلى دين الله تعالى أن يتحلى بخلق الرحمة وأن يكون دافعه رحمة الناس وإنقاذهم من عذاب النار.

٢- الرحمة تقوي الروابط بين أفراد المجتمع:

فما تراحم قوم إلا اجتمع أمرهم، وتآلفت قلوبهم، وارتفعت بين الأمم مكانتهم، وقد جمع الله سبحانه وتعالى الصحابة رضوان الله عليهم وألف بين قلوبهم بالدين القويم فكانوا أرحم الخلق بعد النبي صلى الله عليه وسلم فنشروا الدين وانتصروا بإذن الله على أعدائه وعلا شأنهم من بعد هوان فصدق فيهم وصف النبي صلى الله عليه وسلم، عن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:"ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم، كمثل الجسد، إذا اشتكى عضوا تداعى له سائر جسده بالسهر والحمى" (البخاري، ١٤٢٢ه، ج٨، حديث رقم:٦٠١١، ص١٠). وإن نزعت الرحمة من قوم واستعملوا الغلظة والقسوة تفرق جمعهم ودارت عليهم دائرة السوء، وهانوا على الناس.

٣- الرحمة تزيد في العمر والرزق:

إن من أعظم القربات وأجل الرحمات رحمة المسلم بوالديه وأقاربه وصلتهم ومودتهم ولو بالسلام، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "بلوا أرحامكم ولو بالسلام" (البيهقي، ١٤٢٣ه، ج١٠، حديث رقم:٧٦٠٣، ص٣٤٧). وقد نسبت هذه الصلة إلى الرحمة وسميت بصلة الرحم، ووعد الله تعالى على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم من قام بحقها بالبركة في الرزق والزيادة في العمر، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: "سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: من سره أن يبسط له في رزقه، أو ينسأ له في أثره، فليصل رحمه" (البخاري، ١٤٢٢ه، ج٣، حديث رقم:٢٠٦٧، ص٥٦). ومن قطع صلته برحمه فقد خسر الأجر والمثوبة والفضل المترتب عليها وعصى الله سبحانه وتعالى ورسوله الكريم صلى الله عليه وسلم.

٤- من أسباب نزول الغيث:

الغيث هو مادة الحياة ورحمة من الله تعالى تنزل على عباده، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُواْ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ وَهُوَ ٱلْوَلِيُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ (سورة الشورى: آية٢٨). فإن نزعت الرحمة من قلوب الناس ولم يؤدوها لمن استحقها من المخلوقات، ابتلاهم الله تعالى بمنعه فإن رحمة الله تعالى قريبٌ من أهل الرحمة، عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: قال النبى صلى الله عليه وسلم:"الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء" (الترمذي، ١٩٩٦، ج٤، حديث رقم: ١٩٢٤، ص٣٢٣).

رابعاً: التطبيقات التربوية لخلق الرحمة في الواقع المعاصر

الرحمة من الأخلاق الفاضلة التي حث عليها الإسلام وأكد على أهميتها تأكيد شديدا ودعى لها وعلى العمل بمقتضاها وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم القدوة في كل ذلك يغرس الرحمة في نفوس أصحابه رضي الله عنهم ويربيهم عليها قولا وعملا حتى قال أنس رضي الله عنه:"ما رأيت أحدا كان أرحم بالعيال من رسول الله صلى الله عليه وسلم" (النيسابوري، ١٤٢٧ه، ج٧، حديث رقم:٦١٦٨، ص٦٧). فأراهم الأخلاق فطبقوها ليصنعوا بذلك مجتمعا متراحما أثنى عليه الله سبحانه وتعالى بقوله عز وجل: ﴿رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ (سورة الفتح: آية٢٩). ومن هنا يتوجب الاهتمام بتربية الأفراد على خلق الرحمة لصلاح المجتمع والمحافظة عليه.

ومن خلال الطرح التالي رأى الباحث وضع أسس يمكن أن تستفيد منها الأسرة والمدرسة في التربية على خلق الرحمة.

١-دور الأسرة في تربية الفرد على خلق الرحمة:

تمثل الأسرة النواة الأولى للتربية والمكون الأول لشخصية الطفل من خلال ما يتلقاه من توجيهات سليمة ومواقف مختلفة، ومن ذلك دعم ما في نفس الطفل من رحمة فطرية وتقويتها وتنميتها، ورأى الباحث أن دور الأسرة في تربية الطفل على خلق الرحمة يتم من خلال:

١- إشراك الأولاد في مواقف تستثير عاطفة الرحمة:

إن توجيه الأسرة لأولادها نحو مواقف تستثير عاطفة الرحمة في قلوبهم وتدفعهم إليها يمثل طريقا سريعا لتدريبهم على الرحمة والشعور بها واكتساب خبرات تساعدهم على التعامل معها والعمل بمقتضاها؛ لأن "التعلم بالموقف والتعلم بالاحتكاك أو أثناء التفاعل الاجتماعي أفضل كثيرا من التعلم بالأوامر والنواهي" (رياض، ٢٠١١، ص١٣). فمشاركة العمل تغني عن كثير من النصائح والتوجيهات التي لا يصاحبها تطبيق ورؤية واقعية للتربية، ومن المواقف التي تستثير عاطفة الرحمة عند الأولاد: عيادة المرضى والتسلية عنهم، زيارة الفقراء والمساكين وتفقد أحوالهم، رعاية الأيتام وكفالتهم ومخالطتهم، مجالسة الضعفاء وكبار السن، مساعدة الأقارب والجيران عند حلول مصيبة بهم كموت أحدهم أو مرضه

أو تعرضه لسوءٍ كحادث أو خسارة مال، فالأطفال وما يعايشوه من التراحم والتواصل بين المسلمين يخرج كوامن الرحمة من أنفسهم ويستشعرون ما هو أبعد من ذلك من الكوارث التي تحل بالعالم الإسلامي خاصة وبالإنسانية عامة.

٢- إشباع حاجة الطفل إلى الرحمة:

إن إشباع حاجة الأولاد إلى المحبة والرحمة يجعلهم ينشئون تحت ظلال الألفة والمودة ويتعلموها في الصغر ليطبقوها وتصبح لهم شعارا وراية في المجتمع، فتقبيلهم وضمهم والحنو عليهم وإظهار محبتهم بالابتسامة والملاعبة كل ذلك تغذية وسد لحاجة فطرية وإتباع لسنة النبي صلى الله عليه وسلم، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: "قبّل رسول الله صلى الله عليه وسلم الحسن بن علي وعنده الأقرع بن حابس التميمي جالسا، فقال الأقرع: إن لي عشرة من الولد ما قبلت منهم أحدا، فنظر إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال: من لا يرحم لا يرحم" (البخاري، ١٤٢٢ه، ج٨، حديث رقم:٥٩٩٧، ص٧). يقول ابن حجر رحمه الله: "جواب النبي صلى الله عليه وسلم للأقرع إشارة إلى أن تقبيل الولد وغيره من الأهل المحارم وغيرهم من الأجانب إنما يكون للشفقة والرحمة" (العسقلاني، ١٤٢٦ه، ج١٣، ص٥٤٠). فالرحمة هي الفعل الذي يعكس الشعور بالشفقة على الآخرين ويحرك عاطفتهم ويجلب النفع لهم وهذا ما عليه التربية في المجتمع الإسلامي.

٣- تعليم الأطفال القرآن الكريم:

إن من أعظم ما يربي النفس على الأخلاق الفاضلة عموما والرحمة على وجه الخصوص تعلم القرآن الكريم وتدبره، فمن تتبع نصوص الكتاب المبين يلحظ ورود "لفظ رحم ومشتقاته ثلاثمائة مرة" (إبراهيم، ١٤٠٩ه، ص١٧٨). وهذا يدل على أن القرآن الكريم يحث الفرد على خلق الرحمة بإظهار مكانتها في الدنيا والآخرة في أكثر من آية وسورة، ولا غرابة في ذلك فإن القرآن الكريم كتاب الرحمة، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّـٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾ (سورة الإسراء: آية٨٢).فقراءته رحمة، وتعلمه رحمة، وتدبره والعمل به يبني أمة الرحمة.

٤- إبراز بعض جوانب الرحمة من سنة المصطفى صلى الله عليه وسلم:

فقد استفاضت السنة النبوية المطهرة في إظهار خلق الرحمة والدعوة إليه، فدعت إلى رحمة الأقارب، عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال: "سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: قال الله: أنا الله وأنا الرحمن خلقت الرحم، وشققت لها من اسمي فمن وصلها وصلته ومن قطعها بتته" (الترمذي، ١٩٩٦، ج٣، حديث رقم:١٩٠٧، ص٤٧١). فزيارة الأقارب وتعاهدهم بالوصل يظهر للأولاد أهمية الأقارب وإدخال السرور إليهم بزيارتهم والتودد إليهم وفيه رضا لله سبحانه وتعالى.

ومما أوصى النبي صلى الله عليه وسلم عليه الرحمة بالخادم، قال صلى الله عليه وسلم:"إن إخوانكم خولكم جعلهم الله تحت أيديكم، فمن كان أخوه تحت يده، فليطعمه مما يأكل، وليلبسه مما يلبس، ولا تكلفوهم ما يغلبهم، فإن كلفتموهم ما يغلبهم فأعينوهم" (البخاري، ١٤٢٢ه، ج٣،حديث رقم:٢٥٤٥، ص١٢٩). فالخادم قد اضطرته الحاجة إلى أن يعمل بهذا العمل، ونبي الرحمة صلى الله عليه وسلم يعلم ويوجه إلى أنهم إخواننا في الإسلام والرحمة واجبة لهم ومعاملتهم كمعاملة النفس في الملبس والمأكل ولا يشق عليه إلا أن يعان.

ودعت السنة النبوية المطهرة إلى رحمة الحيوان وأنها نفس يعطف عليها وتعامل بالرفق، عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال:"كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فانطلق لحاجته فرأينا حُمرة معها فرخان فأخذنا فرخيها فجاءت الحمرة فجعلت تفرش فجاء النبي صلى الله عليه وسلم فقال: من فجع هذه بولدها؟ ردوا ولدها إليها. ورأى قرية نمل قد حرقناها فقال: من حرق هذه؟. قلنا نحن قال: إنه لاينبغي أن يعذب بالنار إلا رب النار" (أبي داود، ١٤١٨ه، ج٣، حديث رقم:٢٦٧٥، ص٨٨). فالإسلام دين الرحمة والسنة زاخرة بما يربي الأولاد على خلق الرحمة كالرجل الذي سقى كلبا اشتد عطشه فأدخله الله تعالى الجنة برحمته لذلك الكلب، والمرأة التي حبست الهرة حتى ماتت فأدخلها الله تعالى النار بقسوتها.

٥- القدوة والتعامل بخلق الرحمة:

فإن البيت الذي يتعامل فيه الوالدان مع بعضهما على أساس الرحمة والمودة والاحترام، فلا يكلف أحدهما الآخر ما لا يطيق، ولا يتعدى أحدهما على الآخر بألفاظ نابية، ولا يظهران خلافاتهما أمام الأولاد، يشاع بين أفراده جو من الألفة والمحبة ويكون له الأثر الأكبر في غرس الرحمة في نفوس الأولاد وتربيتهم عليها.

٦- التوسط في العيش والابتعاد عن الترف والإفراط في المتع:

إن من المظاهر التي تربي الفرد على خلق الرحمة ابتعاده عن مظاهر الكِبر والخُيلاء، فإن من غَرق في الملذات والمتع، وتلهى عن غيره بالإتراف، قسى قلبه وأصبح همّه نفسه، وما عاد مستشعرا لحاجة الفقير والمسكين والضعيف من الناس.

٢-دور المدرسة في تربية الفرد على خلق الرحمة:

الرحمة منطلق التربية الناجحة؛ لأن "سر نجاح التربية يتوقف على عمق العلاقة بين المعلم والتلميذ، وعلى التواصل الحميمي بينهما فكلما تعلق التلميذ بالمعلم وأحبه كان أكثر استفادة منه وتأثرا به، وترَسّم خطاه وقلده وحاكاه، فيتحسن سلوكه وتحصيله الدراسي" (الخميسي، ١٤٢٨ه، ص٧٠). فعطاء الرحمة الفياض من المربين تكون ثماره تربية ناجحة وسلوكا حسناً وشخصية سوية صالحة تساهم في بناء حضارة إسلامية راقية.

ومن الممكن قيام المدرسة بدورها في تربية التلاميذ على خلق الرحمة من خلال ما يلي:

١- تعريف التلاميذ بسعة رحمة الله تعالى:

فإن من أعظم ما ينمي نوازع الرحمة عند التلاميذ التعرف والتأمل في جوانب رحمة الله تعالى وآثارها على العباد، وأن رحمة الله تعالى سبقت غضبه سبحانه، فصياغة محتوى دراسي يعتمد على مصادر التشريع الإسلامي ويستعرض جوانب الرحمات الإلهية في إنزال الغيث وإقامة الحدود والموت والحياة والتشريع وأن كل ما يأتي من عند الله تعالى رحمة ينمي لدى التلميذ نوازع الرحمة والتفاؤل والرضى وتزداد الطمأنينة واليقين ويثبت قلبه على الرحمة والمحبة لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين.

٢- تدريب التلاميذ على الرحمة من خلال الموقف التعليمي:

إن استغلال المجتمع المدرسي لبث روح الألفة والمودة والرحمة بين التلاميذ يعد من المهام التي يتعاون فيها العاملون بالمدرسة من معلمين وإداريين وذلك من خلال الاستفادة من الأنشطة الصفية وحث التلاميذ على التعاون في شرح وبعض المسائل لزملائهم وأخذ دور المعلم مع توجيههم للتعامل بالرحمة والصبر فإن ذلك كفيل بشد روابط الأخوة والألفة بين التلاميذ، والاستفادة من الأنشطة غير الصفية كالرحلات والزيارة وغيرها مما يبث روح التعاون والألفة بين التلاميذ ويساعد على تطبيق مبادئ الرحمة والتعاون والأخوة عمليا.

٣- غرس خلق الرحمة من خلال تعامل المعلم مع التلاميذ:

فالمعلم يمثل أحد الركائز الأساسية للعملية التعليمية وهو المؤثر الأول على سلوك التلاميذ من خلال تعامله المباشر مع التلميذ، "فالطالب إذا وجد من المدرس رفقاً ونصحا أحبه وبالتالي أحب درسه وحرص على الاستفادة منه" (خياط، ١٤١٦ه، ص٥٦٤). فالمعلم الذي يتعامل مع تلاميذه في ضوء الرحمة فيقدمها على العقاب دون تضييع لحق تلميذ أو إفساد لهم، ولا يتلفظ إلا بالحسن والجميل مما يكون قريبا من قلوب التلاميذ، ولا يكلف تلاميذه ما يشق عليهم من الواجبات، ويراعي الفروق الفردية بينهم فيتدرج في الشرح، ويصبر على مناقشتهم، وييسر عليهم أمر الامتحان، لا شك سيجعل من طلابه واعين لكل ما يقدمه لهم من تربية وتعليم.

المبحث الرابع: خلق الأناة

الأناة خلق عظيم يدل على رجاحة في العقل واتزان في النفس، وظهر خلق الأناة في قصة سليمان عليه السلام وملكة سبأ في القرآن الكريم أكثر من مرة، فهذا نبي الله سليمان عليه السلام آتاه الله تعالى ملكا لم ينله أحد غيره، فلما جاءه الهدهد مبديا عذره بعبارة لا يخاطب بها الملوك، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴾ (سورة النمل: آية٢٢). استمع عليه السلام للهدهد، وظهر التأني في إصدار الحكم والتثبت من أن الهدهد رأى ما رأى، فعلم سليمان عليه السلام من عند الله تعالى، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ (سورة النمل:آية ٢٧). "مما يدلُّ على أنه بإلهاماته كنبي يعرف أنه صادق، إنما ما دام الأمر محلَّ نظر فلا بُدَّ أن نتأكد، ولن أجامل جندياً من جنودي"(الشعراوي، ١٩٩٩، ج١٧، ١٠٧٧٥).

ومع ملكة سبأ عندما أتاها الكتاب الكريم، وبعد إبداء الآراء ممن معها تمهلت في اتخاذ القرار فالخطب جلل ورأت أن تتأنى وتتثبت في شأن صاحب الكتاب، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿وَإِنِّى مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴾ (سورة النمل: آية٣٥). فقالت: "لست بمطيعة له قبل الاختبار وإرسال من يكشف عن أحواله ويتدبرها، وحينئذ نكون على بصيرة من أمرنا"(السعدي، ١٤٣٢هـ، ٥٤٩). فكان عاقبة التأني وعدم العجلة في الأمر خيرا، بإسلامهم فرحمها الله ورضي عنها.

ولبيان أهمية خلق الأناة وآثاره التربوية على الفرد والمجتمع، يتناول هذا المبحث العناصر التالية

أولاً: تعريف الأناة

الأناة في اللغة: "الأَناةُ : الحِلْمُ والوَقَارُ، ورجُلٌ آنٍ: كثيرُ الحِلْمِ، وأَنِيَ وتَأَنَّى واسْتَأْنَى: تَثَبَّتَ" (الفيروزآبادي، ١٤٢٦هـ، ص١٦٢٧).

الأناة في الاصطلاح: "هي التثبت وترك العجلة" (المباركفوري، ١٤٢٠هـ، ج٢، ص١٦٦٦). وعرفها الشيخ العثيمين رحمه الله بأنها:"التأني في الأمور وعدم التسرع" (العثيمين، ١٤٢٦هـ، ج٣، ص٥٧٧).

ثانياً: أهمية خلق الأناة

عمل الإسلام على تربية المسلمين على الأناة والتثبت الحكيم في القيام بالأعمال وتصريف الأمور، وما ذلك إلا لما لها من منزلة رفيعة ومكانة عالية، وتبين النقاط التالية أهمية خلق الأناة في الإسلام:

١- أنها أمر الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم، فقد وجه الله تعالى النبي صلى الله عليه وسلم تربية وتعليما له أمرا بعدم العجلة، وإن كان طلبا للخير ومحبة له، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ

بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيۡنَا جَمۡعَهُۥ وَقُرۡءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأۡنَٰهُ فَٱتَّبِعۡ قُرۡءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيۡنَا بَيَانَهُۥ﴾ (سورة القيامة: الآيات ١٦-١٩). والمسلمون أولى بامتثال أمر الله تعالى وعدم العجلة في تلقي العلم، والتأدب في طلبه.

٢- فعل النبي صلى الله عليه وسلم، فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم أعظم الناس أناة وتثبتاً، فكان لا يقاتل أحداً إلا بعد التأكد بأن شعائر الإسلام لا تقام، فعن أنس ابن مالك رضي الله عنه "أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا غزا بنا قوماً لم يكن يغزو بنا حتى يصبح وينظر، فإن سمع أذاناً كف عنهم ، وإن لم يسمع أذاناً أغار عليهم" (البخاري، ١٤٢٢ه، ج١، حديث رقم:٦١٠، ص١٢٥). فالإسلام دين الوضوح والاستقامة، ولا يقوم شيء فيه على الظن أو الوهم أو الشبهة.

٣- الأناة خلق يحبه الله تعالى، أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن لخلق الأناة منزلة عند الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم، فعن عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأشج عبدالقيس رضي الله عنه:"إن فيك لخصلتين يحبهما الله الحلم والأناة" (النيسابوري، ١٤٢٧ه، ج١، حديث رقم:١٢٧، ص٣٦). فلسمو وعظم هذا الخلق، وما له من آثار حسنة على الفرد والمجتمع أحبه الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم.

٤- أن الله تعالى أمر المؤمنين بالتأني والتثبت، لأن العجلة لا تصلح للمؤمن خلقا، **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ﴾ (سورة الحجرات: آية٦). "قرأ الجمهور فتبينوا من التبين، وهو التأمل، وقرأ حمزة والكسائي: فَتَثَبَّتوا، والمراد من التبين التعرف والتفحص، ومن التثبت: الأناة وعدم العجلة، والتبصر في الأمر الواقع والخبر الوارد حتى يتضح ويظهر" (الشوكاني، ١٤١٥ه، ج٤، ص٦٠). فإن عدم التثبت وعدم التأني يؤديان إلى كثير من الأضرار والمفاسد، فقد يسمع الإنسان خبراً، أو يقرأ نبأ في صحيفة، أو مجلة، فيسارع بتصديقه، ويعادي ويصادق، ويبني على ذلك التصرفات والأعمال التي يصدرها للمقاومة أو الموافقة، على أساس أنه حق واقع، ثم يظهر أنه كان مكذوباً، أو محرفاً، أو مزوراً، أو مبالغاً فيه، أو مراداً به غير ما فهمه الإنسان، ومن هنا يكتوي المتسرع بلهب الندم والحسرة بسبب استعجاله وعدم تثبته.

٥- البراءة من الكذب، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:"كفى بالمرء كذبا أن يحدث بكل ما سمع" (النيسابوري، ١٤٢٧ه، ج١، حديث رقم:٧، ص٨). لقد عدّ النبي صلى الله عليه وسلم الناقل لكل ما يسمع قبل التثبت من صحته من الكذب المحرم، والمسلم التقي لا يستمع إلى هذر الناس، ولا يلقي بالا إلى ما يصدم سمعه من أقاويل وإشاعات وظنون تموج بها مجتمعاتنا اليوم موجا، وبالتالي لا يرضى لنفسه أبدا أن يروي كل ما يسمع عن الناس من هذه الأقاويل والإشاعات والظنون من غير تثبت وتيقن.

ثالثاً: الآثار التربوية لخلق الأناة

خلق الأناة خلق فاضل يظهر جلياً على تصرفات الفرد وردة الفعل على الأحداث المحيطة به وطريقة إدارته لها، وله آثار تربوية عظيمة، منها:

١- رجاحة العقل وطمأنينة القلب:

فالمتأني يضع الأمور في نصابها لأنه يتثبت ويحيط بمصدر الأمر وينظر للعاقبة قبل إصدار الحكم والقيام بعمل ما، فلا تصبح تصرفاته ردة فعل يندم عليها بعد ذلك، بل يقدم وهو آخذ بالأسباب، "وما أكثر ما يهلك الإنسان ويزل بسبب التعجل في الأمور، سواء في نقل الأخبار، أو في الحكم على ما سمع، أو في غير ذلك" (العثيمين، ١٤٢٦هـ، ج٣، ٥٧٧). فصاحب الفكر المتعجل سريع التقلب؛ فبينما تجده على فكرة وموقف يتبناه ويدافع عنه، تجده بعد فترة من الزمن يتبنى ما يناقض الفكرة الأولى لتأثره المتسرع بطرح جديد من جهة أخرى، وهكذا.

لذا، فخلق الأناة يجعل الفرد مطمئن القلب، ومتثبت مما هو مقدم عليه، ومتيقن بأن ما يفعله هو الصواب، فيسعى بقوة لنيل ما يريد؛ لأن قوة اليقين تدفعه للعمل وبذل الجهد، ولا تجعل من تصرفاته ردود أفعال تزول مع الوقت.

٢- الثبات في الحياة الدنيا:

فالتأني وعدم التعجل في إصدار الأحكام أوالتحدث بما يصل إلى السمع من ركائز الثبات على المبدأ التي تصون الإنسان عن الأخلاق المذمومة، فمن عرف الأناة عرف التثبت، ومن عرف التثبت لازمه الصدق، ومن لازمه الصدق ابتعد عنه أهل الأهواء ومحبي الفتن، ولن يجد حوله إلا صاحب الفلاح والإصلاح بإذن الله تعالى، والصاحب ساحب إما للجنة وإما للهاوية.

٣- القبول عند الناس:

فالأناة من الأخلاق التي يحبها الله تعالى - حديث أشج عبدالقيس رضي الله عنه السابق- ومن أحبه الله تعالى وضع له القبول في الأرض، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:"إذا أحب الله العبد نادى جبريل: إن الله يحب فلانا فأحببه، فيحبه جبريل، فينادي جبريل في أهل السماء: إن الله يحب فلانا فأحبوه، فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في الأرض" (البخاري، ١٤٢٢ه، ج٤، حديث رقم:٣٢٠٩، ص١١١).

٤- بناء مجتمع متماسك:

فالمجتمع المتأني أفراده تراهم لا يتعجلون بالتهم وإلقاء اللوم على الغير، بل يتثبتون فيزول الشك من النفوس، وتسلم الصدور من الأحقاد، فلا يستطيع عدو تفريق وحدة المجتمع أو نشر الشائعات بين أفراده ، فكل خبر يتم التوثق منه بالتحري والدقة ومعرفة مصدره، متعاونين متحابين لا يضرهم صوت من يريد تفريقهم.

رابعاً: التطبيقات التربوية لخلق الأناة في الواقع المعاصر

خلق الأناة من الأخلاق الإسلامية الكريمة التي يحبها الله تعالى، وتحفظ الفرد بإذن الله تعالى من الشرور والعواقب السيئة للأفعال، وتحفظ المجتمع من الانقسام والاستسلام للشائعات.

وحاول الباحث استعراض تطبيقات عملية يمكن للأسرة والمدرسة أن تستفيد منها في التربية على خلق الأناة، في النقاط التالية:

١-دور الأسرة في تربية الفرد على خلق الأناة:

كل أسرة ترغب في أن تعيش في جو من الألفة والمحبة بعيدا عن المشاكل والصدام بين أفرادها أو مع من حولهم من الأقارب والأصدقاء والجيران، ويعتبر خلق الأناة سببا رئيسيا لخلق جو من الاستقرار والراحة النفسية؛ لأنه يدعو إلى التثبت ثم التأني في الأحكام ونبذ التسرع في ردة الأفعال، وهذه عوامل تدعو النفس للاستقرار، وتنعكس إيجابا على الأسرة. ويمكن للأسرة غرس خلق الأناة من خلال النقاط التالية:

١- تعويد الطفل على التفكير في نتائج قراراته:

لا شك أن كل والد حريص أن يربي أبنائه لمواجهة الحياة وخوض غمارها بقلب مؤمن ونفس ثابتة على المبادئ، فتكون القرارات الخاصة بالطفل بيد الوالدين عن طريق الأوامر والنصائح والإرشادات مصحوبة بالترغيب والتشويق في ثواب الدنيا أو الأخرة، فتتكون في داخل الطفل قوة إيمانية رادعة وقاعدة معرفية تعينه على الحكم على الأمور الممكن فعلها والتي توصل إلى السعادة، والتصرفات غير الجائرة التي تجلب الخسارة والندم.

وعلى الوالدين الاستفادة من المعرفة التي تشكلت داخل الطفل فيترك ليتخذ قراراته بنفسه دون تدخل من الوالدين أو فرض رأي، ولكن بسؤاله عن الهدف من هذا القرار، وسبب تبنيه لهذا الرأي، ومناقشة النتائج التي يمكن أن تؤول إليها الأمور بعد ذلك في الدنيا أو الآخرة، وثم توسع له دائرة اتخاذ القرار شيئا فشيئا بحسب سنه.

وبذلك يتعلم الفرد آلية اتخاذ القرار منذ نعومة أظفاره، وينشأ على الأناة والحكمة والفكر الثاقب المتبصر بعواقب الأمور، ويبني له شخصية مستقلة تمسك بزمام الأمور منذ الصغر.

٢- تربية الطفل على خلق الأناة باللعب:

اللعب أمر محبب للطفل ويمكن للأسرة أن تختار الألعاب التي تعتمد على الفك والتركيب حتى يعمل عقله ويتبصر بالأمور أكثر، فقد "أثبتت الأبحاث أن الأطفال الذين تكون لديهم الإمكانات والفرص للعب تنمو عقولهم نمواً أكثر وأسرع من غيرهم ممن لم تتح لهم هذه الفرص وتلك الإمكانات" (باحارث، ١٤١٤ه، ص٤٢١).

فيتعلم الطفل من خلال الألعاب التي تعتمد على وضع القطع في أماكنها الصحيحة أو تكوين الأشكال، عدم الاستعجال بطريق غير مباشر فهو يرغب بأن يعرف ما الصورة أو الشكل الذي سيحصل عليه، فيتعلم بالممارسة أشياء يجب أن تؤخذ بالتروي والصبر حتى تكون النتيجة سليمة وآمنة، فيبقى في نفسه الأثر بأهمية التأني وترتيب الأحداث، حتى تتضح الصورة الحقيقية للأمر فيصدر الحكم على بينة.

٣- تربية الطفل على التروي والتثبت والبحث عن الحق:

لقد خلق الله سبحانه وتعالى الإنسان وجعل من طبعه التعجل في أخذ الأمور وعدم النظر في العواقب، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ ۖ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا﴾ (سورة الإسراء: آية١١). فهو يسرع بالحكم على الناس أفرادًا أو جماعات، بمجرد ظهور أدنى مؤشر يدل على المدح أو القدح، ويحدث بما سمع من شائعات دون روية ولا تثبت، ولكن يمكن تهذيب طبع التعجل في حياة الفرد والتغلب عليه بالتربية على الكتاب والسنة حتى يغلب على التصرف الحلم والأناة والتؤدة والتثبت من الأمور، وبخاصة فيما يتعلق بالحكم على الناس أفرادًا كانوا أو جماعات، أو ما يتعلق بقضايا مصيرية في حياة الإنسان.

لذا، كان على الأسرة أن تربي الطفل على خلق التثبت والبحث عن الحق من خلال معايشة الآيات الداعية إلى خلق الأناة والتثبت والرجوع لأهل العلم والمتخصصين في الأمر، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (سورة النساء: آية٨٣).

ومن خلال أحداث الإفك في سورة النور، وغيرها من الآيات الحاثة على التبين والتثبت، فإن هذه النصوص جميعاً مدعاة إلى تربية ملكة التثبت والتبين في نفس الفرد.

٢- دور المدرسة في تربية الفرد على خلق الأناة

التثبت والتأني في إصدار الأحكام من الأخلاق الدالة على الفضل والتي حث عليها الإسلام، والمدرسة ممثلة في مناهجها ومعلميها يمكنها أن تغرس هذا الخلق في نفوس التلاميذ، وذلك من خلال ما يلي:

١- تضمين المناهج موضوعات تبين أهمية خلق الأناة:

حيث يقوم المسؤولون على إعداد المناهج بتضمين بعض الموضوعات التي تبين أهمية التثبت والتحقق من الخبر قبل نشره، وعدم الخوض فيه ورده إلى أهل العلم، وتحذر من التعجل والأضرار الناجمة عن الإشاعات على العباد والبلاد، وأن ذلك من الصفات المذمومة.

٢- الرحمة بالطلاب وعدم التعجل في معاقبتهم وتوبيخهم:

على المعلم أن يحرص على عدم العجلة في إلقاء الدروس، وأن يراعي الفروق الفردية بين الطلاب لإيصال المعلومة للجميع، وأن يكون رحيماً بطلابه فلا يتعجل في معاقبتهم أو توبيخهم، لأن هذا يؤثر سلباً عليهم، فالتلميذ يعرف الأخلاق من معلمه ويعكسها في تعامله مع زملائه؛ لأن الصواب في نظره ما سمعه من معلمه وما رأه من تصرفاته.

فالطالب المتأني في تقديم إجاباته المراجع لما كتب والمثبت لها بأدلتها، اكتسب سلوكا علميا من خلال معلم لم يعجل في إيصال المعلومة و لم يشق على الطالب بالعقاب والتوبيخ والتعجل في إدراك الأمور.

٣- غرس خلق الأناة من خلال تنمية التوثيق العلمي في نفس الطالب:

فتوثيق المعلومة ومعرفة مصدرها يكسب الطالب القدرة على تمييز الخطأ من الصواب، فعمل المسابقات التي يطلب من الطالب فيها البحث عن معنى كلمة أو عن حقيقة علمية وعزو الإجابة لمصدرها وقائلها، ينمي في نفسه خلق الأناة والتثبت.

الفصل الخامس
المضامين التربوية المستنبطة من قصة سليمان عليه السلام وملكة سبأ في القرآن الكريم في الجانب الإداري والسياسي

المبحث الأول : الشورى

المبحث الثاني : الشعور بالمسؤولية

المبحث الثالث : الأمانة

المبحث الرابع : الرقابة

الفصل الخامس : المضامين التربوية المستنبطة من قصة سليمان عليه السلام وملكة سبأ في القرآن الكريم في الجانب الإداري والسياسي

أنزل الله سبحانه وتعالى القرآن الكريم بعقيدة التوحيد وإخلاص العبادة للرب المجيد، فخضعت جوارح المؤمنين عبادةً لرب العالمين متبعين سنة خير المرسلين عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم، فتجلت الأخلاق الصالحة والتعاملات الصادقة لتبني دولة يسودها نظام إداري وسياسي ربّاني المصدر، صالح لكل مكان وزمان قادر على التكيف مع كافة الظروف والأحوال، خالد بحفظ الله تعالى للقرآن، كامل وشامل لجميع مناحي الحياة، ومنظّم للعلاقة بين أفراد المجتمع بعضهم ببعض، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ﴾ (سورة الأنعام: آية١٦٥).

فتميّز الدين الإسلامي عن غيره من الشرائع والقوانين الوضعية بأنه دين ودولة لا يمكن فصل أي منهما عن الآخر فهو منهاج حياة، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ (سورة الأنعام: الآيات١٦٢-١٦٣). لا يفرق بين الناس فكلهم تحت لوائه سواء، ولكل فرد فيه حق مثل غيره من الأفراد، عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: "إن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب الناس يوم فتح مكة، فقال: يا أيها الناس إن الله قد أذهب عنكم عبية الجاهلية وتعاظمها بآبائها فالناس رجلان بر تقي كريم على الله، وفاجر شقي هين على الله والناس بنو آدم وخلق الله آدم من تراب، قال الله:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾" (الترمذي، ١٩٩٦، ج٥، حديث رقم:٣٢٧٠، ص٣٥٩).

وعلى ضوء ما سبق يتناول هذا الفصل أربعة مباحث إدارية وسياسية اشتملت عليها قصة سليمان عليه السلام وملكة سبأ في القرآن الكريم وهي: مبحث الشورى، ومبحث الشعور بالمسؤولية، ومبحث الأمانة، ومبحث الرقابة.

المبحث الأول : الشورى

لقد جاء الإسلام حريصا كل الحرص على إرساء المبادئ، التي يشعر في ظلها كل مسلم بأنه فرد له مكانته وكرامته بين أبناء مجتمعه، ومن تلك المبادئ المهمة مبدأ الشورى، الذي اهتم به القرآن الكريم والتزم به رسول الله صلى الله عليه وسلم كما التزم به صحابته رضوان الله عليهم، فتعتبر الشورى من الدعائم الأساسية لاتخاذ القرار الصحيح من قبل الفرد أو الجماعة، وقد أظهرت قصة سليمان عليه السلام وملكة سبأ في القرآن الكريم أثر الشورى في اتخاذ ملكة سبأ للقرار الصائب، قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَفْتُونِى فِىٓ أَمْرِى مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ﴿٣٢﴾ قَالُوا۟ نَحْنُ أُو۟لُوا۟ قُوَّةٍ وَأُو۟لُوا۟ بَأْسٍ شَدِيدٍ وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ فَٱنظُرِى مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾ وَإِنِّى مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴾ (سورة النمل: الآيات٢٩-٣٥). طلبت الملكة مشورة قومها بقولها: "أشيروا عليّ في أمري الذي قد حضرني من أمر صاحب هذا الكتاب الذي ألقي إليّ،... قال الملأ من قوم ملكة سبأ، إذ شاورتهم في أمرها وأمر سليمان: نحن ذووا القوّة على القتال، والبأس الشديد في الحرب، والأمر أيتها الملكة إليك في القتال وفي تركه، فانظري من الرأي ما ترين، فَمُرينا نأتمر لأمرك" (الطبري، ١٤٢٠ه، ج١٩، ص٤٥٥). فكان استعدادهم للقتال داع لها أن تحيد عنه ولا تجعله الخيار الأول، فقدمت أسبابا مقنعة تبين سوء مغبة القتال دون معرفة العدو، وأن الجيوش تفسد البلاد التي تفتح عنوة قتلا وأسرا ونهبا لأموالها، وتخريبا لديارها، وتجعل أشراف الناس من الأذلين.

فلم تفرض رأياً، ولم ترفض رأيهم دون أسباب واضحة مقنعة، وقد تأدبت معهم بقولها ما كنت قاطعة أمرا حتى تشهدون، فتأدبوا معها حين التزموا بصدق المشورة.

وتتضح أهمية الشورى وآثارها التربوية من خلال العناصر التالية

أولاً: تعريف الشورى

الشورى في اللغة: من "شاورت فلانا في أمري، وهو مشتق من شور العسل وكأن المستشير يأخذ الرأي من غيره، يقال: شاوره في الأمر مشاورة. طلب منه المشورة. وأشار به: عرفه. وأشار إليه وعليه بيده وبعينه وبحاجبه: أومأ. وأشار عليه بكذا: أمره وارتآه له، وبين له وجه المصلحة، ودله على الصواب"(ابن منظور، ١٩٩٧، ج٤، ص٤٣٧).

الشورى في الاصطلاح: "استنباط المرء الرأي من غيره فيما يعرض له من مشكلات الأمور، ويكون ذلك في الأمور الجزئية التي يتردد المرء فيها بين فعلها وتركها" (الأصفهاني، ١٤٢٨هـ، ص٢٩٤).

ثانياً: أهمية الشورى

الشورى مبدأ أساسي أقره وأمر به الدين الإسلامي السمح ليؤلف به بين قلوب المسلمين من حاكم ومحكومين في نظام الحكم، وبين أفراد المجتمع الواحد، وفي الأسرة الواحدة، وتبرز أهمية الشورى من خلال النقاط التالية:

١- أن الله سبحانه وتعالى أنزل سورة كاملة في القرآن الكريم سماها الشورى، وتسمية إحدى سور القرآن الكريم باسم الشورى هو في حد ذاته تشريف لأمر الشورى وتنويه بأهميته ومترلته.

٢- أن الشورى تستجلب رضا الله سبحانه وتعالى، فقد أنزلها الله عز وجل على النبي صلى الله عليه وسلم أمرا، **قَالَ تَعَالَىٰ:﴿وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ﴾** (سورة آل عمران: آية١٥٩). "فأمر الله تعالى، نبيه عليه السلام أن يشاورهم في الأمر: فإن ذلك أعطف لهم عليه وأذهب لأضغاهم، وأطيب لنفوسهم. فإذا شاورهم عرفوا إكرامه لهم"(القرطبي، ١٤١٥هـ، ج٤، ص٢٥٠). والمسلم مأمور باتباع النبي صلى الله عليه وسلم.

٣- أن الشورى من التوكل على الله تعالى، فإن الله تعالى بعد أن أمر نبيه صلى الله عليه وسلم بأن يشاور الصحابة رضي الله عنهم في الأمر، **قَالَ تَعَالَىٰ:﴿فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ﴾** (سورة آل عمران: آية١٥٩). فجعلها من التوكل عليه سبحانه، لأنها من اتخاذ الأسباب بمعرفة الآراء المختلفة ووجهات النظر المختلفة لتخير الأقرب منها للصواب، لأن "التوكل عليه أن يراعي الإنسان الأسباب الظاهرة، ولكن لا يعول بقلبه عليها"(الزحيلي، ١٤١٨هـ، ج٤، ص١٤٢).

٤- أن الله سبحانه وتعالى امتدح المؤمنين الذين اتخذوا الشورى منهج حياة، **قَالَ تَعَالَىٰ:﴿وَٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِرَبِّهِمۡ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمۡرُهُمۡ شُورَىٰ بَيۡنَهُمۡ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ﴾** (سورة الشورى: آية٣٨). وجعل الشورى بين إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة لعظم شأنها وجلالة قدرها، وزيادة في مدح المتصفين بها، فهذا "خبر يراد به الأمر، من حيث اقترن بركنين من أركان الدين، وتوسطهما، وهما إقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، المأمور بهما شرعا فكان حكم الشورى حكمهما، من حيث الوجوب والإلزام" (الخطيب، ١٣٩٠ه، ج١٣، ص٦٨). فالمشاورة أمر مطلوب في كل شيء عام أو خاص ما لم يكن سرا لأنها تحقق نفعا للتوصل إلى أفضل الآراء وأصوبها، فقد أخبر الله تعالى أن الفطام المبكر للطفل يجب أن يكون عن

تشاور وتراض من الطرفين، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَإِنۡ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٖ مِّنۡهُمَا وَتَشَاوُرٖ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَاۗ ﴾ (سورة البقرة: آية٢٣٣). أي "إن أراد الأبوان فطام الولد قبل عامين فإن لهما ذلك بعد التشاور في ذلك وتقدير مصلحة الولد من هذا الفطام المبكر"(الجزائري، ١٤١٢هـ، ج١، ص١١٦). وهذا توجيه للأسرة المسلمة بالتزام الشورى كمبدأ لإدارة الأسرة وشؤونها.

٥- أن الشورى من دعائم الحكم الإسلامي، فأمر الدولة الإسلامية واستقرارها لا يحتمل التخبط والتفرد من قبل إنسان يخطئ ويصيب، لذا كانت "الشورى من قواعد الشريعة وعزائم الأحكام، ومن لا يستشير أهل العلم والدين فعزله واجب ، هذا ما لا خلاف فيه" (ابن عطية، ٢٠٠١، ج١، ص٥٣٤).

فاجتماع الآراء يقلل الأخطاء، ووجود البطانة الناصحة الراشدة بالدين يصحح مسار الحاكم إن حاد عن الصواب، لذا "واجب على الولاة مشاورة العلماء فيما لا يعلمون، وفيما أشكل عليهم من أمور الدين، ووجوه الجيش فيما يتعلق بالحرب، ووجوه الناس فيما يتعلق بالمصالح، ووجوه الكتاب والوزراء والعمال فيما يتعلق بمصالح البلاد وعمارتها"(القرطبي،١٤٢٣هـ، ج٤، ص٢٥٠). فعلى الحاكم أن يضم مستشارين في كل فن يمكن أن تحتاج إليه الدولة كالاقتصاد والهندسة وغيرها، فمن تفرد وأعجب برأيه فقد ضلّ وأضل.

٦- أن الشورى تحقق مبدأ الأخوة الإسلامية، فهي مطلب شرعي ألزم الله به عباده ليهتدوا للصواب بإذنه، ولتصفو به النفوس، وتجتمع القلوب، ويحقق المسلمون قول النبي صلى الله عليه وسلم:"إن المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا وشبك بين أصابعه"(البخاري، ١٤٢٢هـ، ج٣، حديث رقم: ٤٨١، ص١٢٩)، لذا كان النبي صلى الله عليه وسلم أكثر الناس مشاورة فهو خير الناس، وقدوة المؤمنين، ومعلم الأصحاب رضوان الله عليهم ومن تبعهم إلى يوم الدين طريق الصلاح والاجتماع، وعدم الفرقة.

٧- أنها أمانة على من طلبت منه، قال صلى الله عليه وسلم:" المستشار مؤتمن"(الترمذي، ١٩٩٦، ج٥، حديث رقم٢٨٢٢، ص١٢٥). وقد ذكر الله تعالى أن الأمانات يجب أن تؤدى لأهلها، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا ﴾ (سورة النساء: آية٥٨). فاقترانها بالأمانة يظهر عناية الإسلام بها والحث عليها.

ثالثاً: الآثار التربوية للشورى:

الشورى مبدأ إسلامي عظيم حث الله سبحانه وتعالى على تطبيقه والعمل به بين المسلمين عامهم وخاصهم، وبين أنه صفة من صفات المؤمنين، لذا كان له آثار تربوية مهمة، منها:

١- تحقيق الترابط الأسري بين الآباء والأبناء:

فنمو الألفة والمحبة والمودة بين أفراد الأسرة الواحدة، متعلق بشعور الأفراد بأن لهم كيانا يحترم وأنهم جزء من القرارات المتعلقة بهم، فالشورى تؤلف القلوب وتجمعها لذا كان الأمر بها من الله عز وجل، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ (سورة آل عمران: آية١٥٩).

٢- تعلم الفرد العمل الجماعي:

فالشورى تقوم على التعاون مع الآخرين والإنصات إليهم بحثا عن الصواب، فتنمي سلوكيات الفرد في التعامل معهم واحترام آرائهم وتقدير مشاعرهم، وتحقيق قول النبي صلى الله عليه وسلم:"إن المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا وشبك بين أصابعه"(البخاري، ١٤٢٢ه، ج٣، حديث رقم: ٤٨١، ص١٢٩).

٣- بناء الفرد صاحب الخبرة والتجربة:

الشورى تجلب وتفتح للفرد أفاقاً جديدة وتجارب عديدة خاضها غيره، فيعرف ما لقيه كل واحد منهم والطريق السليم الذي يجب أن يسير عليه في مثل تلك الأحداث، كل تلك المعرفة المتراكمة لدى من يستشير تكسبه خبرات متعددة يستطيع من خلالها التصرف بصورة أفضل في مواقف كثيرة؛ لأن "الاستشارة تُنوّر الأفكار، بسبب إعمالها فيما وضعت له، فصار في ذلك زيادة للعقول" (السعدي، ١٤٣٢ه، ص١١٥). ويتمكن أيضاً من مد يد العون والمشورة لمن أرادها من خلال ما سمع من آراء من أهل التجربة وأهل الاختصاص والتشاور معهم.

٤- تعويد الفرد على استقلاليه الرأي:

فالمستشار مؤتمن والآراء التي يسمعها الإنسان إنما تبني له الخبرة وتنير له الدرب حتى يحسن الاختيار فيما بينها، وهذا يتطلب منه التأني في اتخاذ القرارات والشعور بالمسؤولية الملقاة على عاتقه، وأن عليه تحملها دون إلقاء اللوم على الآخرين.

يكتسب الفرد من خلال التجارب والآراء التي تعرض عليه أهمية اتخاذ قراره بنفسه، وأن الشورى إنما هي آراء محترمة تبنى على الخبرات السابقة، فيبني ذلك كله في نفس الفرد آراء وتصورات مستقلة يقدمها كاستشارات لمن أرادها، ويصبح ناقلا للخبرة التي نقلت له ولكن بأسلوبه الخاص.

٥- الشعور بالطمأنينة:

العمل بالشورى يجعل الإنسان محاطاً بصورة دائمة بمن ينير له الطريق ويشير عليه بالصلاح، وهذا يبعث في النفس الطمأنينة بأن لديه من يأوي إليه إن جلّ الخَطب، فلن يكون وحده ليتخبط في آرائه التي يمكن أن تخطئ.

رابعاً: التطبيقات التربوية لمضمون الشورى في الواقع المعاصر

إن الشورى قيمة إنسانية مارستها الجماعات والقبائل والشعوب والأمم على مر تاريخها الطويل، كل بطريقته وثقافته وعقيدته وأعرافه وتقاليده، إلا إن الإسلام أضاف لها بعداً تعبدياً وجعلها من القيم الإنسانية الرفيعة، ومن المقاصد الكبرى لهذا الدين.

ويعرض الباحث لبعض التطبيقات التي تربي النشء في الواقع المعاصر على مبدأ الشورى من خلال الأسرة والمدرسة كأهم المؤسسات الاجتماعية التربوية.

١-دور الأسرة في تربية الفرد على مضمون الشورى:

إن الأسرة المسلمة صورة مصغرة للمجتمع الإسلامي الكبير وهي اللبنة الأساسية في بنائه، فيها تعد معاييره ومبادئه ومثلة العليا وتغرس أساسيات القيم والمفاهيم التي يسعى الإسلام لتعليمها للنشء، وعليها تلقى مهمة تربية الطفل على الشورى كمبدأ إسلامي عظيم.

ويمكن تربية الطفل على مضمون الشورى من خلال بعض التطبيقات التربوية التي يرى الباحث أنها تساعد على تحقيق ذلك، ومن هذه التطبيقات:

١- تعويد الطفل على البوح بأفكاره ومناقشتها معه:

عالم الطفل يبدأ بالوالدين وتعامل الطفل مع الآخرين مستقبلا ينطلق من تعامل والديه معه في عالمه الصغير بداية، فإن اعتاد الوالدان أن يستمعا للطفل ويحترما أفكاره ويناقشاها معه دون تقليل من شأنها أو مقاطعاته، فإن ذلك يعطي الطفل القدرة على عرض أفكاره بصورة مرتبة والاستماع للآخرين باهتمام، وإبداء رأيه دون تردد أو خوف من التقليل منه.

فالشورى تبنى على خبرات وآراء تنتج منها فإن اعتاد الطفل على الاستماع الجيد وترتيب الأفكار وعرضها بصورة صحيحة، فإن ذلك يربي فيه مستقبلا القدرة على استشارة من هو أعلم منه والاستفادة من آرائهم، وتصبح لديه القدرة على تقديم المشورة الصحيحة لطالبها.

٢- إكساب الطفل خبرات متعددة من خلال القصص:

على الوالدين الاهتمام بالقصص الهادفة وقراءتها على الطفل، فيكتسب من خلالها العبرة والعظة والقدرة على فهم الأمور بشكل أفضل، ويمكن للأسرة بناء مكتبة صغيرة للأولاد تشمل مجموعة من القصص والكتب الإسلامية وغيرها في شتى المجالات بما يتناسب والمراحل السنية للأولاد، فالمعرفة تكسب الإنسان ثقة وتميزاً وثباتاً في الحياة.

والتربية من خلال القصة تساعد الطفل على إبداء الرأي وتقديم المشورة والنقاش من خلال ما عايشه داخل القصص من عظات وعبر، وتطبيق ذلك في واقعه ومع رفاقه.

٣- تعويد الأولاد على الاجتماع بالناس:

الطفل بحاجة لمخالطة الناس حتى يتسع عالمه الذي يتعلم منه ويزول الخجل عنه، "فإن الأطفال الذين يخالطون غيرهم، ويجتمعون معهم يكونون أقل خجلا من الأطفال الذين لا يخالطون ولا يجتمعون" (علوان، ١٤١٢ه، ج١، ص٣٠٢). والطفل الخجول يفقد الثقة بنفسه، ويتردد بالتحدث أمام الآخرين ولو كان بالحق، فيفقد بذلك القدرة على طلب المشورة أو تقديمها لمن يحتاجها منه.

لذا، على الأسرة أن تعود الأولاد على الاجتماع بالناس بجلب الأصدقاء إلى البيت بشكل دائم، أو مصاحبتهم للآباء في زيارة الأصدقاء والأقارب، وتشجيعهم برفق ليتحدثوا أمام غيرهم سواء كان المتحدث إليهم صغيراً أو كبيراً، مما يكسبهم الثقة بأنفسهم، ويدفعهم للمشاركة الفاعلة وتقديم النصح والصدح بالحق.

٢- دور المدرسة في تربية الفرد على الشورى:

١- إشراك الطلاب في اتخاذ القرارات المتعلقة بهم:

على المعلم أن يشرك الطلاب في ما يتعلق بوجودهم داخل المدرسة ويعمل على استشارتهم والأخذ بالأصلح من رأيهم كاختيار العرفاء، أو تحديد الأنشطة التي تناسب كل طالب، فإن فرض الأمر على الطالب يسلب جزءاً من إرادته، ويفقده القدرة على التعبير عما يريد.

٢- احترام الطالب والرفق في التعامل معه:

الحكمة أساس تعامل المعلم مع الطالب، وكل ما يصدر من المعلم نحو الطالب يوجهه للتفاعل مع من حوله أو الانعزال عنهم، فعلى المعلم أن يحترم شخصية الطالب ويناديه باسمه ويحاوره فيما أشكل عليه ويقبل منه وجهة نظره ويقدر ظروفه والفروق الفردية بينه وبين زملائه ويرفق بهم، ويبتعد عن التحقير والإهانة والقسوة والتشهير بأخطائه وإخفاقاته، فهذا يجعل الطالب ينظر إلى نفسه أنه حقير مهين، ولا قيمة وله ولا اعتبار، فلا يتقبل من معلم أو صديق مشورة أو نصحا، ولا يقدم على نصح أو إرشاد من هو محتاج وإن طلبت منه بسبب نظرته الدونية لنفسه.

٣- تضمين المناهج صوراً من الشورى في الإسلام:

فالتاريخ الإسلامي يزخر بأمثلة كثيرة وصور عديدة للشورى إذا قدمت للطالب أدرك قيمة الشورى في حياة المسلم وعلم أنها لا تختص بإنسان دون إنسان، فالبيت المسلم يبنى على الشورى، والتعامل بين الأقران يعتمد على الشورى وعدم فرض رأي على آخر، وشؤون الدولة المسلمة يبنى على الشورى.

وحينها تتكون صورة حقيقية عن الشورى لدى الطالب لا يمكن تشويهها بأي دعاوى مخالفة كالديمقراطية وغيرها، ويصبح تطبيقها واقعاً في حياته اليومية.

المبحث الثاني: الشعور بالمسؤولية

لقد مَنَّ الله سبحانه على عباده بالنعم التي لا تعد ولا تحصى وجعل أعظمها نعمة الإسلام، وجعل على عاتقهم بالمقابل مسؤولية إعمار الأرض بطاعة الله تعالى والإقرار بوحدانيته قولاً وعملاً، وحذرهم عدوهم المسلط عليهم فلا يعذر أحد بعد بالتخلي عن مسؤولياته أمام الله عز وجل، وجعل المناصحة والأخذ بيد الضال إلى سبيل الهداية وتعليمهم الخير أعظم المهام، وضرب هدهد سليمان عليه السلام صورة رائعة في الشعور بالمسؤولية والقيام بها على أكمل وجه، **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ إِنِّي وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّا يَسْجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِي يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ (سورة النمل: الآيات٢٠-٢٦). وصل الهدهد وقد سبقه الوعيد الشديد من سليمان عليه السلام فابتدر بما يلفت انتباه سليمان عليه السلام فقال أحطت بما لم تحط به، وجئتك من سبأ بنبإ يقين، فكانت الإحاطة بالخبر من جميع جهاته والتأكد من كل صغيرة وكبيرة منه جعله يقينا لا يخالطه شك، وبدأ بوصف حالتهم الدنيوية والتعجب مما رأى فهناك امرأة تحكم هذه البلاد والنساء لم يخلقن لذلك، وأنها أوتيت من كل شيء "من أسباب القوة ومظاهر الملك" (الجزائري، ١٤١٢ه، ج٤، ص١٥). ولها عرش عظيم مقارنة بالملوك أمثالها، ثم وصف حال علاقتهم بالله تعالى وأخبر بشركهم وعبادتهم للشمس وأن هذا من تزيين الشيطان، فالهدهد على ضعف وصغر حجم إلا أن مسؤوليته العظيمة تجاه الرب المنعم المتفضل سبحانه ثم تجاه النبي سليمان عليه السلام وغيرته على التوحيد جعلته يجمع معلومات تفصيلية عن القوم ويأتي بالخبر كأن السامع يعاين الأمر فغير بتحمله المسؤولية أمة وأنقذها من النار، **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (سورة النمل: آية٤٤).

ولبيان أهمية الشعور بالمسؤولية، وآثارها التربوية على الفرد والمجتمع، يعرض هذا المبحث العناصر التالية:

أولاً: تعريف المسؤولية

المسؤولية في اللغة: "المسئوليّة مصدر صناعيّ مأخوذ من مادّة (س أل) الّتي تدلّ على استدعاء معرفة أو ما يؤدّي إلى المعرفة، أو استدعاء مال أو ما يؤدّي إلى المال... يقال: سألته الشّيء، وسألته عن الشّيء سؤالا، ومسألة والأمر منه اسأل، وقد تخفّف همزته فيقال: سال، والأمر منه سل... ولفظ

المسئوليّة من الألفاظ المحدثة الّتي يراد بها التّبعة يقال: أنا بريء من مسئوليّة هذا العمل أي من تبعته، وقيل: المسئوليّة ما يكون به الإنسان مسئولا ومطالبا عن أمور أو أفعال أتاها" (ابن حميد وآخرون، ١٩٩٦، ج٨، ص ٣٤٠١).

المسؤولية اصطلاحا: "المسئولية من وجهة نظر الإسلام يعني: تحمل الشخص التزاماته وقراراته واختياراته العملية من الناحية الإيجابية والسلبية أمام الله في الدرجة الأولى وأمام ضميره في الدرجة الثانية وأمام المجتمع في الدرجة الثالثة" (يالجن، ١٩٧٧، ص٣٣١).

ثانياً: أهمية المسؤولية

لقد خلق الله سبحانه وتعالى الإنسان مسؤولا عن تصرفاته منذ أن خلق آدم عليه السلام وجعل له حدودا تظهر له هذه المسؤولية ويتحمل تبعة مخالفتها، **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (سورة البقرة: آية٣٥). فلما تصرف آدم عليه السلام خلاف ذلك، **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴾ (سورة طه: آية١٢١). كان الجزاء وتبعة ذلك، **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ قَالَ ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٢٤﴾ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴾ (سورة الأعراف: الآيات٢٤-٢٥).

وقد جاء الإسلام مقررا ومؤكدا على أهمية المسؤولية وتحمل عواقب الإخلال بها، ومن ذلك:

١- أن المسؤولية إلزام من الله تعالى لعباده، فقد خيّر الله عز وجل آدم عليه السلام في حمل الأمانة فحملها فألزم نفسه وذريته بها، فألزمه الله تعالى بمسؤولية القيام بها وتحمل عاقبة الإخلال بها، **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ (سورة الأحزاب: آية٧٢). "عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: قال الله تعالى لآدم: يا آدم إني عرضت الأمانة على السماوات والأرض فلم تطقها فهل أنت حاملها بما فيها. فقال: وما فيها يا رب. قال: إن حملتها أُجرت وإن ضيعتها عُذِّبت. فاحتملها بما فيها فلم يلبث في الجنة إلا قدر ما بين صلاة الأولى إلى العصر حتى أخرجه الشيطان منها" (القرطبي، ١٤٢٣هـ، ج٢٤، ص٢٥٣). وقد جاءت نداءات الرحمن سبحانه وتعالى للإنسان متكررة ومتنوعة في القرآن الكريم تتضمن تكليفات إلهية ومذكرة بمسؤوليته الملقاة على عاتقه في التزام السمع والطاعة لله تعالى، مثل: يا أيها الذين آمنوا، يا أيها الناس، يا بني آدم، يا أيها الإنسان، وهي خطابات عامة للذكور والإناث إلا ما جاء مستثنى.

٢- أنها طاعة لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم الذي أمر كل فرد بالقيام بمسؤولياته، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "كلكم راع فمسؤول عن رعيته، فالأمير الذي على الناس راع وهو مسؤول عنهم، والرجل راع على أهل بيته وهو مسؤول عنهم، والمرأة راعية على بيت بعلها وولده وهي مسؤولة عنهم، والعبد راع على مال سيده وهو مسؤول عنه، ألا فكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته"(البخاري، ١٤٢٢ه، ج٣، حديث رقم:٢٥٥٤، ص١٥٠). فقد بدأ النبي صلى الله عليه وسلم بالتنبيه على أن كل إنسان مسؤول عما بين يديه صغيرا أو كبيرا، وبدأ بذكر أعظم المسؤوليات وهي مسؤولية الأمير وانتهى بأقلها وهي مسؤولية الخادم، وأعاد التنبيه بأن كلّ راع مسؤول عن القيام بإصلاح عمله ورعاية ما بين يديه ومحاسب لا محالة، فعن ابي برزة الاسلمي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسئل عن عمره فيم أفناه، وعن علمه فيم فعل، وعن ماله من أين اكتسبه، وفيم أنفقه، وعن جسمه فيم أبلاه" (الترمذي، ١٩٩٦، ج٤، حديث رقم:٢٤١٧، ص٦١٢). فكل حياة ابن آدم في تلك المسائل الخمس، فهو مسؤول بالتصرف فيها في الحياة الدنيا، ومسؤول عنها يوم القيامة بالثواب والعقاب، **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ﴾ (سورة الملك: آية٢).

٣- الشعور بالمسؤولية هدف إسلامي في تكوين شخصية الفرد المسلم، فالإسلام أتى ليبني إنسانا مسؤولا عن تصرفاته فوق أي أرض وتحت أي سماء، بينما "تلتقي مناهج التربية الأرضية على أن هدف التربية هو إعداد المواطن الصالح، وتختلف الأمم بعد ذلك في تصور هذا المواطن وتحديد صفاته. فقد يكون هو الجندي الشاكي السلاح، وقد يكون هو الرجل الطيب المسالم، وقد يكون هو الناسك المتعبد، ولكنها تشترك كلها في شيء واحد: في إعداد المواطن الصالح. أما الإسلام فلا يحصر نفسه في تلك الحدود الضيقة وإنما يسعى لتحقيق هدف أكبر وأشمل، هو إعداد الإنسان الصالح"(قطب، ١٤١٤ه، ج١، ص١٣). وبهذا يكون الفرد المسلم مسؤولاً عن تصرفاته أمام الله عز وجل لا أمام الناس والقانون، فتراه في موطنه وخارج موطنه يتسم بالتعامل الصادق النابع من مبادئ سامية لأن مسؤوليته نابعة من عبادة الله سبحانه وتعالى والانقياد لما أمر الله سبحانه به واجتناب ما نهى الله عنه، تلك المبادئ التي غيرت مفهوم المسؤولية عند العرب المتعصبين للقبيلة والجماعة والبلد والالتزام بما يمليه الانتماء إلى التجرد وعدم التحيز والنظر بموضوعية والحكم بمقياس واحد لا يتغير وهو مقياس الشرع.

٤- دلالة على شرف الإنسان وفضله الذي جعله له الله سبحانه، فقد رفع الله سبحانه وتعالى مكانة الإنسان فوق كل المخلوقات وكرمه ليحمل أعظم المسؤوليات فيعبده "ويخلفه في إجراء أحكامه" (الجزائري، ١٤١٢ه، ج١، ص١٩). **قَالَ تَعَالَىٰ:**﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ (سورة البقرة: آية٣٠). وجعل الكون مسخراً له ليقوم بمهمته في هذه الدنيا، **قَالَ تَعَالَىٰ:**

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ لِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ (سورة الجاثية: الآيات١٢-١٣). " وهذا شامل لأجرام السماوات والأرض ولما أودع الله فيهما من الشمس والقمر والكواكب والثوابت والسيارات وأنواع الحيوانات وأصناف الأشجار والثمرات وأجناس المعادن وغير ذلك مما هو معد لمصالح بني آدم ومصالح ما هو من ضروراته" (السعدي، ١٤٣٢ه، ص٧١٨). فالإنسان إذا عرف أنه خلق للسيادة في هذا الكون في ظّل العبودية التامّة لله رب العالمين. ولّد ذلك في نفسه شعوراً خاصاً، بأنّه كيان مستقل له مكانته ومترلته في هذا الوجود، بل وحمله على المحافظة على هذا الكيان مهما تكن ضخامة الثمن.

٥- الشعور بالمسؤولية سبب لصلاح المجتمع، فالمجتمع يتكون من أفراد إن صلحوا صلح ما حولهم وإن فسدوا فسد ما حولهم، والشعور بالمسؤولية يحيل الفرد المسلم إلى إنسان يسعى للخير ونشر الحق والعدل والإخاء وإقامة ما أوجبه الله تعالى عليه تحت ظل عقيدة سليمة توحد الله سبحانه، لذا كان أمر الله سبحانه وتعالى لعباده أن يقيموا الإسلام في أنفسهم أولا، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (سورة المائدة: آية١٠٥). فعلى المسلم أن يبدأ بنفسه فيلزمها الإسلام فهو مسوؤل عنها ثم يعمل ليصلح من حوله، فعن ابي بكر الصديق رضي الله عنه أنه قال: "أيها الناس إنكم تقرءون هذه الآية: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ ﴾ وإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه" (الترمذي، ١٩٩٦، ج٤، حديث رقم:٢١٦٨، ص٤٨٦).

ثالثاً: الآثار التربوية للمسؤولية

للتربية على المسؤولية في الإسلام آثار كبرى على شخصية المسلم، منها:

١- تربية الإنسان على التنظيم وتحديد الأهداف والعمل على تحقيقها:

الإنسان الذي يشعر بالمسؤولية ينظر للحاضر على أنه سبيل لبناء المستقبل، لذا كان المسلم مسؤولا أمام الله عز وجل لأن أهدافه قد اتضحت من قوله تعالى:﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ (سورة الذاريات: آية٥٦). فكان النبي صلى الله عليه وسلم وهو القدوة أكثر المؤمنين تحملا للمسؤولية وأكثرهم عملا لتحقيق العبودية ونيل رضا الرحمن سبحانه، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (سورة الأنعام: آية١٦٢).

٢- تعليم الفرد المشاركة الفاعلة في بناء الأمة:

من خلال السعي الحثيث لرضا الله سبحانه وتعالى وذلك للقيام بمسؤولياته دون النظر للغير وقد كان عمار بن ياسر رضي الله عنهما مثالا يحتذى به، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: "كنا نحمل لبنة لبنة وعمار بن ياسر يحمل لبنتين لبنتين، فرآه رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل ينفض التراب عنه، ويقول: يا عمار ألا تحمل لبنة كما يحمل أصحابك. قال: إني أريد الأجر من الله. فجعل ينفض التراب عنه ويقول: ويح عمار تقتله الفئة الباغية يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار . فجعل عمار يقول: أعوذ بالرحمن من الفتن"(الشيباني، ١٤١٩ه، ج٣، حديث رقم:١١٨٦١، ص٩٠).

٣- وعي المسلم بضرورة وأهمية الجماعة في حياته:

فالمسلم الذي نشأ على المسؤولية فإنه يعلم ضوابط العمل مع الجماعة، وتأثير سلوكياته على وجودها وصلاحها، فلا يتخلى عنها ويبذل أقصى ما يستطيع لتبقى وتستمر، ولا يغلّب المصلحة الذاتية على مصلحة الأمة، وقد امتدح الله تعالى الأنصار رضي الله عنهم بذلك، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾(سورة الحشر: آية٩). وقد كان كثير من الصحابة رضي الله عنهم في ميزان أعمال أبي بكر الصديق رضي الله عنه فقد بذل ماله وجهده في نصرة الإسلام، وجهّز عثمان رضي الله عنه جيش العسرة رغبة فيما عند الله تعالى ونصرة لجماعة المسلمين وثبت الإمام أحمد رحمه الله في فتنة القول بخلق القرآن حتى جاء فرج من الله تعالى على الأمة، وما ذلك إلا لشعورهم بالمسؤولية الملقاة على عاتقهم تجاه الأمة وعدم تقديم حظوظ النفس.

٤- غرس الإيجابية في تصرفات الفرد:

فإن من تربى على المسؤولية لا يرضى بترك الناس على ضلال، فيعمل على تقديم النصيحة ومد يد العون لمن يحتاج إليها، عملا بالحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إن الدين النصيحة إن الدين النصيحة إن الدين النصيحة. قالوا: لمن يا رسول الله. قال: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم" (النسائي، ١٩٨٦، ج٧، حديث رقم:٤١٩٩، ص١٥٧).

٥- بناء شخصية مستقلة تبحث عن الحق والعدل:

فالمسلم الذي نشأ على الشعور بالمسؤولية وتحملها يعلم أن تصرفاته محسوبة عليه وأنه لا تزر وازرة وزر أخرى، ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴾ (سورة النجم: آية٣٩). ويولّد هذا الشعور في نفسه كياناً مستقلاً، بل ويجعل حواسّه منتبهة لكل ما يمسُّه ولو من بعيد، لذا كان خيرة الناس هم أول من آمن من الصحابة رضي الله عنهم وترك عبادة الأوثان وما ترعرع عليه مع آبائه وأجداده.

٦- الثبات على المبادئ الحقّة والسعي نحو العمل بها:

فالمسلم يعلم مسؤوليته أمام ربه وأن حدود الإسلام وما افترضه الله تعالى عليه من عبادات

وأخلاق وتعاملات هي مسؤوليته فلا مساومة عليها ولا تغيير لها فوق أي أرض وتحت أي ظرف.

رابعاً: التطبيقات التربوية لمضمون المسؤولية في الواقع المعاصر

إن الفرد المسلم إنسان مسؤولٌ بكل ما لهذه الكلمة من معانٍ، وعلى أساس هذه المسؤولية كانت تكاليف الحياة على الإنسان، ثم الجزاء على نتائج الأعمال، وتربية الفرد على المسؤولية من أول واجبات البيت والمدرسة، ليكون مستعداً لمواجهة الظروف المتقلبة، والأخطار الممكنة، والمشكلات الناجمة عن حركة الحياة ومدافعاتها.

١-دور الأسرة في تربية الفرد على الشعور بالمسؤولية:

تعتبر الأسرة هي منبع التربية، وهي الكيان الصلب والقوي الذي يدعم عملية تربية الطفل على الشعور بالمسؤولية، حيث يقع على الوالدين مهمة توفر جو مليء بالدفء والحنان والاحترام والتقدير لبناء الشخصية السوية المسؤولة.

ويعرض الباحث بعض التطبيقات التربوية التي تساعد الأسرة على ترسيخ الشعور بالمسؤولية لدى الطفل، ومن هذه التطبيقات:

١- تعريف الفرد بالمسؤولية الملقاة على عاتقه:

كثير من الناس لا يعرف المسؤولياتِ الموكلة له فضلا عن الشعور بها وأدائها، ولذلك تراه يعيش على هامش الحياة دون إدراك لما هو مطلوب منه، فالمرحلة الأولى من مراحل تحمل المسؤولية والشعور بها أن يعرف المرء ما يجب عليه، لأنه لا يمكنه القيام بما يجب عليه على الوجه المطلوب إذا جهله.

لذا، على الوالدين تعريف الطفل بما يجب عليه فعله، والكيفية التي تحققه بالصورة المطلوبة، وتعرف الأسرة أفرادها الأمور التي لا يقربوها حتى يعلم أنه مسؤول بعد أن علم.

٢- تربية الطفل على الشعور بالمسؤولية من خلال التوازن في معاملته:

إن كل ما يصدر عن الطفل من تصرفات وأفعال إنما هي انعكاس لتربية الوالدين وتعاملهما معه، فإن التشدد في التربية وتحويلها إلى أوامر ونواهي صارمة يتحرك من خلالها الطفل تؤدي إلى ضعف الشعور بالمسؤولية والذي يولد شعوراً بالتفاهة والفراغ في نفس الطفل، وأما التساهل في التربية وترك الحرية الكاملة له في التصرف دون عقاب أو حساب، وتلبية كل ما يطلبه بدعوى الرحمة والمحبة، تنشئ طفلاً معتمداً على والديه مغروراً مدللاً غير مبالٍ بالمسؤولية ولا يشعر بها.

فكلا الطريقين خطأ، فعلى الوالدين أن يكون لديهم إدراك متوازن لحاجات الطفل فلا يتركاه بلا محاسبة وتوجيه، ولا يضيقا عليه بالضوابط واستعمال الشدة، وإنما التوازن بين ذلك كله حتى يتعلم معنى مسؤولية التصرفات التي تصدر منه، ويشعر بأهمية أداء ما عليه لأنه مسؤول عن أدائها، فإن أقدم على فعل حسن يثني عليه ويستحسن العمل، وإن أساء أو قصر فلابد من التوجيه والتأديب حسب عمر الطفل دون ضرب أو تجريح لشخصه فالأمر متعلق بالفعل وليس بذات الطفل.

٢-دور المدرسة في تربية الفرد على الشعور بالمسؤولية:

المدرسة هي المؤسسة العلمية المتخصصة في تكوين وتنمية جوانب الشخصية على أساس علمي، ومع تعدد المؤسسات التربوية إلا أن للمدرسة السلطة التربوية الأكبر في تربية وتنمية الشعور بالمسؤولية على نطاق الفرد ثم الجماعة.

ويمكن للمدرسة أن تربي الطلاب على تحمل المسؤولية والشعور بها من خلال:

١- تنمية الشعور بالمسؤولية لدى الطالب من خلال إعلاء قيمة العمل:

إن وظيفة الإنسان في الحياة هي العمل سواء لأجل الدنيا أو لأجل الآخرة، ومتى ما تربى الفرد على إعلاء قيمة العمل منذ الصغر نشأ محباً له قادراً على تحمل مسؤولياته المختلفة شاعراً بأهمية أدائه، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:"والذي نفسي بيده لأن يأخذ أحدكم حبله، فيحتطب على ظهره خير له من أن يأتي رجلاً، فيسأله أعطاه أو منعه" (البخاري، ١٤٢٢ه، ج٢، حديث رقم:١٤٧٠، ص١٢٣). فالنبي صلى الله عليه وسلم يحث الناس على العمل ويعلي من قيمته حتى يحببه إلى نفوس المسلمين.

لذا، على المعلم أن يرفع من قيمة الأعمال المختلفة دون استثناء، وأن يبين للطالب أن العمل أساس في الإسلام من خلال الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة، وأن الفرد مسؤول عن رفع الحاجة عن نفسه بالعمل، ومسؤول عن تقدم الأمة من خلال ما يقدمه من عمل نافع لها.

٢- تربية الطالب على الشعور بالمسؤولية من خلال الأنشطة المدرسية:

النشاط المدرسي مجال خصب للتربية على المسؤولية فكل طالب لديه مهام فردية يؤديها لتحقيق أهداف الجماعة المنضم لها، وهو جزء من فريق عمل يؤدي كل من فيه مهاماً تكمل ما لدى الآخرين، "فالنشاط يسهم في قيام الصداقة والود بين أفراد الجماعة وتحمل المسؤولية والتعاون واحترام الأنظمة والقوانين وقبل ذلك الدين الإسلامي" (شحاته، ١٤٢١ه، ص٣٨).

فشعور الطالب بأنه جزء تعتمد عليه الجماعة وتثق به، يربي في داخله الشعور بالمسؤولية والرغبة في العطاء والثقة بأن له كياناً له تقديره واحترامه.

المبحث الثالث: الأمانة

الأمانة خلق إداري وسياسي فاضل ورفيع، تصان به حقوق الله تعالى ثم حقوق البشر، وبها تحرس الأعمال من دواعي التفريط والضياع والإهمال، وقد تعهد عفريت من جند سليمان عليه السلام بإحضار عرش ملكة سبأ وأن يكون أميناً عليه محافظاً على ما حواه، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ۖ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ﴾ (سورة النمل: آية٣٩). فذِكر العفريت لصفة الأمانة أمر هام لأنها إذا عرفت عن شخص قُدِّمَ وأُعطي الثقة، وأصبح مقرباً عند صاحب الشأن.

ومن خلال المحاور التالية يمكن أن تتضح أهمية الأمانة وآثارها التربوية على الفرد والمجتمع:

أولاً: تعريف الأمانة

الأمانة في اللغة: ضد الخيانة، والأمين: الثقة، والحافظ، وصاحب الدين والفضل (ابن منظور، ١٩٩٧،ج١٣، ص٢١).

الأمانة اصطلاحاً: الأمانة: "خلق ثابت في النّفس يعفّ به الإنسان عمّا ليس له به حق، وإن تهيّأت له ظروف العدوان عليه دون أن يكون عرضة للإدانة عند النّاس، ويؤدّي به ما عليه أو لديه من حقّ لغيره، وإن استطاع أن يهضمه دون أن يكون عرضة للإدانة عند النّاس"(الميداني، ١٤٢٠ه، ج١، ص٦٤٩).

فالأمانة ملازمة للمؤمن، فلا تكون طارئة عليه يتحلى بها في مواقف، ويتخلى عنها متى ما شاء، فتعامل المؤمن مع الرقيب سبحانه وتعالى فلا خلوةً تغيره ولا مكانةً تبدله.

ثانياً: أهمية الأمانة

الأمانة في المسلم تنبع من عقيدته، وتدل على صدق اتجاهه، وصفة نفسية تملي سلوكاً لا يتبدل إزاء كل ما يعهد إليه من مهام ومسؤوليات للقيام بها، ولعل أهميتها تأتي من الأمور التالية:

١- أن الله تبارك وتعالى أمر عباده بالمحافظة عليها وأدائها، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾ (سورة النساء: آية٥٨). فهي أمر واجبٌ التحلي به ولا يجوز التساهل في أدائه لأن الآمر رب العالمين سبحانه.

٢- أن الرسول صلى الله عليه وسلم شدد على أدائها، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أدِّ الأمانة إلى من ائتمنك، ولا تخن من خانك"(الترمذي، ١٩٩٦، ج٢، حديث رقم:١٢٦٤، ص٥٥٥). وفيها تشديد على المسلم بأن يؤدي الأمانة ولا يخون ويعامل الخائن بالمثل لأنه يعامل الآخرين بأخلاق الإسلام التي تتميز بالثبات.

٣- أن الله سبحانه وتعالى اختصها بالقيام على الصراط مع الرحم وما ذلك إلا لمكانتها، فمن حديث الشفاعة عن حذيفة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:"... فيأتون محمدا

صلى الله عليه وسلم فيقوم فيؤذن له وترسل الأمانة والرحم فتقومان جنبتي الصراط يمينا وشمالا فيمر أولكم كالبرق" (النيسابوري، ١٤٢٧ه، ج١، حديث رقم:٣٢٩، ص١٨٦). فكان ذلك المقام خاص بخلقي "الأمانة والرحم لعظم شأنهما وفخامة ما يلزم العباد من رعاية حقهما، يوقفان هناك للأمين والخائن والمواصل والقاطع فيحاجان عن المحق ويشهدان على المبطل" (العسقلاني، ١٤٢٦ه، ج١٥، ص١٤٦). فمن أدى الأمانة وعمل بمقتضى ما أوجبه الله تعالى عليه من حفظها وأدائها على وجهها نجا بإذن الله تعالى من النار وتجاوز الصراط.

٤- أن الأمانة خلق النبي صلى الله عليه وسلم، وخلق الأنبياء من قبله صلوات الله وسلامه عليهم فقد قال الله سبحانه وتعالى على لسان أنبيائه صلى الله عليهم وسلم في دعائهم لقومهم:﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ (سورة الشعراء: آية١٠٧).

وكان النبي صلى الله عليه وسلم قبل البعثة يلقّبه قومه بالصادق الأمين، ورضوه لأمانته حكما في وضع الحجر الأسود، فقد أقبل عليهم وهم مختصمون فلما رأوه قالوا :"هذا محمد، هذا الصادق الأمين، رضينا به" (الحضرمي، ١٩٩٨، ص١١٩). فجَنّبَ القبائل فتنة عظيمة ونال الشرف بفضل ما اختصه الله تعالى من الأمانة واتصافه بها.

٥- أنها دلالة على كمال الإيمان، فعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا إيمان لمن لا أمانة له" (الشيباني، ١٤١٩ه، ج١٩، حديث رقم:١٢٣٨٣ ، ص٣٧٦). فمن أضاع الأمانة فقد أضاع قلب الإيمان، "فالأمانة لب الإيمان وهي منه بمنزلة القلب من البدن والأمانة الجوارح السبع العين والسمع واللسان واليد والرجل والبطن والفرج فمن ضيع جزءا منها سقم إيمانه وضعف بقدره فإن ضيع الكل خرج عن جملة الإيمان" (المناوي، ١٤١٥ه، ج٦، ص٤٩٥).

فالوفاء بحقوق الأمانة من صفات المؤمنين، فهم من يحملون أعظم رسالة لتبليغها ويهدفون إلى إخراج الناس من ظلمة الضلال إلى نور الحق بإذن الله.

٦- براءة من إحدى خصال النفاق، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من علامات المنافق ثلاثة إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا أؤتمن خان" (النيسابوري، ١٤٢٧ه، ج١، حديث رقم:٢٢١، ص٥٦). فعلى الفرد المسلم الحذر من آفة الخيانة لأنها سبيل للنفاق، والسير على نهج الصالحين بالتزام الأمانة.

٧- أن تضييعها من علامات الساعة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إذا ضُيِّعَتْ الأمانة فانتظر الساعة. قال: كيف إضاعتها يا رسول الله. قال: إذا أُسنِد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة" (البخاري، ١٤٢٢ه، ج٨، حديث رقم:٦٤٩٦، ص١٠٤).

فكان من علامات الساعة تضييع الأمانة بتقديم من لا يستحق للمناصب وتدبير شؤون الناس، وإسناد الأمر إلى غير أهله "بولاية غير أهل الدين والأمانات، ومن يعينهم على الظلم والفجور، وعند ذلك تكون الأئمة قد ضيعوا الأمانة التي فرض الله عليهم حتى يؤتمن الخائن ويخون الأمين، وهذا إنما يكون إذا غلب الجهل وضعف أهل الحق عن القيام به" (العيني، ١٤٢١هـ، ج٢، ص٤٦٩). فلا تضيع الأمانة وأهل الحق قائمون على الأمر لأنهم يستشعرون عظيم ما ألقي على عاتقهم من أمانة فيضعون من يعينهم على القيام بها.

٨- من أسباب دخول الجنة، **قَالَ تَعَالَىٰ:**﴿ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ وَعَهۡدِهِمۡ رَٰعُونَ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمۡ قَآئِمُونَ ﴿٣٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ فِي جَنَّٰتٖ مُّكۡرَمُونَ ﴾ (سورة المعارج: الآيات٣٢-٣٥). فالمتصفون بتلك الصفات والأخلاق يكرمهم الله في جنات النعيم، وهذا ما يكون عليه المسلم، لأنه حريص على رضا ربه سبحانه وتعالى والنجاة من النار والفوز بالجنة.

ثالثاً: الآثار التربوية للأمانة:

إن من أغلى ما يرزقه الله للفرد خلق الأمانة، فهي أحد أركان الأخلاق الأربعة كما جاء في الحديث الصحيح، عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:"أربع إذا كن فيك فلا عليك ما فاتك من الدنيا حفظ أمانة وصدق حديث وحسن خليقة وعفة في طعمة" (الشيباني، ١٤١٩هـ، ج٢، حديث رقم:٦٦٥٢، ص١٧٧). وما ذلك إلا لما له من آثار يعود نفعها على الفرد والمجتمع ومنها التالي:

١- تكسب الفرد محبة الآخرين وثقتهم:

فإن الفرد الذي يعرف الناس عنه الأمانة تكون له في قلوبهم منزلة واحتراما ولرأيه تقديرا وطاعة، فالنبي صلى الله عليه وسلم قبل البعثة قبلت القبائل حكمه في وضع الحجر الأسود لأنه الأمين وكفى الله تعالى به القبائل مقتلة عظيمة (المقريزى، ١٤٢٠هـ، ج١، ص١٩). وعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: "جاء أهل نجران إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا: يا رسول الله ابعث إلينا رجلا أمينا. فقال: لأبعثن إليكم رجلا أمينا حق أمين حق أمين. فاستشرف لها الناس فبعث أبا عبيدة بن الجراح" (النيسابوري، ١٤٢٧هـ، ج٧، حديث رقم:٦٤٠٧، ص١٢٩). فما طلبوا إلا أميناً، لأن الأمانة فضيلة ضخمة تدعو إلى رعاية الحقوق، وتعصم من الدنايا، وتدعو إلى غيرها من الفضائل والمسلم يجب أن يتحلى بهذا الخلق لأنه داعية إلى الحق.

٢- تعمل على حفظ الأمن في المجتمعات:

فما انتشرت الأمانة في قومٍ إلا رزقهم الله تعالى الأمن وحفظهم من الأعداء، وما فشى الغدر والخيانة في قوم إلا انتشر بينهم القتل، وفسدت أحوالهم وأبدلهم الله تعالى من بعد أمنهم خوفا، عن بريدة

رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما نقض قوم العهد قط، إلا كان القتل بينهم، ولا ظهرت الفاحشة في قوم قط، إلا سلط الله عليهم الموت، ولا منع قوم الزكاة، إلا حبس الله عنهم القطر" (الحاكم، ١٤١١ه، ج٢، حديث رقم:٢٥٧٧، ص١٣٦). فمن أدى الأمانة بينه وبين الله تعالى، وبينه وبين بقية البشر، كان ذلك حصنا له في الدنيا والآخرة، وأمانا للمجتمع من أن يسلط عليه من يخربه وينشر الفساد فيه.

٣- تصون العلاقات بين أفراد المجتمع:

فإن من الأمانات حفظ حقوق المجالس، وعدم إفشاء الأحاديث الخاصة التي دارت فيها، "فكم من حبال تقطعت، ومصالح تعطلت، لاستهانة بعض الناس بأمانة المجلس، وذكر ما يدور فيه من كلام، منسوبا إلى قائله، أو غير منسوب" (الغزالي، ١٤٠٨ه، ص٥١). فإن الحديث الخاص الذي يدور بين اثنين لا يخرج عنهما إلا باستئذان أحدهما للآخر وإن كان في نفس المجلس وإن لم يطلب منه كتمانه، فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:"إذا حدث الرجل الحديث ثم التفت فهي أمانة" (الترمذي، ١٩٩٦، ج٣، حديث رقم:١٩٥٩، ص٤٠٥). فمن الخيانة نشر حديث صاحبك أو ما يكره أن ينقل عنه، فهو يفضي إلى العداوة والشحناء وتقليب الأمور على غير ما قصد بها، وعلى المسلم أن يجلب الخير ويجمع الكلمة، وينبذ الشر وما يفضي إليه، فلا يتحدث بكل ما يسمع وليحفظ أمانة المجالس فالكلمة أمانة.

٤- تربية الفرد على الرضا بما رزقه الله تعالى:

الاتصاف بخلق الأمانة يرزق الإنسان القناعة ولا ينظر إلى ما وقع تحت يده من أموال المسلمين والظفر به دون وجه حق، عن بريدة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:"من استعملناه على عمل فرزقناه رزقاً، فما أخذ بعد ذلك فهو غلول" (أبي داود، ١٤١٨ه، ج٣، حديث رقم:٢٩٤٣، ص١٣٤). فالأمين يبتعد عن الغلول والوقوع في الخيانة، لأن سعيه للجنة، وتصرفاته تبع للأمانة التي أبت السماوات والأرض والجبال أن يحملنها وحملها الإنسان، وتخلق بها من آمن بالديان، واتبع النبي العدنان صلى الله عليه وسلم.

رابعاً: التطبيقات التربوية لمضمون الأمانة في الواقع المعاصر

جاء الإسلام ليؤسس حضارة إنسانية كما يريدها الله سبحانه وتعالى على قواعد متينة راسخة ذات قيم عظيمة، ومن جملة ما أرسى بين أبنائه خلق الأمانة لأنه ركيزة من ركائز الحق التي تحفظ الأمة وتبني أفرادا يعتمد عليهم المجتمع وتناط بهم المسؤوليات، لذا فإن التربية على هذا الخلق مطلب مهم.

يرى الباحث أن إبراز دور الأسرة والمدرسة في تكوين هذا الخلق يعد ضرورة لأنهما المؤسستان اللتان يعايشهما الفرد في بداية تكوين شخصيته وصقلها.

١-دور الأسرة في تربية الفرد على خلق الأمانة:

تعتبر الأسرة الرافد الأساسي لمد الفرد بالقيم التربوية، وأساس تكوين المجتمع الصالح، فهي "اللبنة الأولى في التكوين الاجتماعي فإذا كانت قوية متماسكة كان المجتمع قويا متماسكا وإذا كانت ضعيفة متهالكة كان المجتمع ضعيفا متهالكاً" (المرسي، ١٤٢٢ه، ص٣). فدورها في البناء عظيم، وعلى قدر عطائها تخرج للأمة أفرادا نافعين، ويبرز دورها في تربية الفرد على خلق الأمانة من خلال التالي:

١- توجيه الطفل إلى أمانة الحديث:

فالأسرة هي التي تزرع في الفرد أمانة الكلمة بتشجيعه على حفظ الأسرار، فإن نشأ على هذه الأمانة واستشعر أهميتها أصبحت له طبعا، عن أنس رضي الله عنه قال:"أتى عليّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا ألعب مع الغلمان فسلم علينا، فبعثني إلى حاجة، فأبطأت على أمي، فلما جئت قالت: ما حبسك. قلت: بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاجة. قالت: ما حاجته. قلت: إنها سر. قالت: لا تحدثن بسر رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدا" (النيسابوري، ١٤٢٧ه، حديث رقم:٦٥٣٣، ص١٦٠). علمت أن الرسول صلى الله عليه وسلم استأمن أنسا رضي الله عنه، فأرشدته رضي الله عنها إلى الصواب بأن يحفظ السر، لتبني شخصية سوية قادرة على حمل الأمانة وأدائها لله تعالى ثم لأمة محمد صلى الله عليه وسلم، وعلى الوالدين عدم الخوف من شيء استأمنا عليه ابنهما، وليعطيا له الثقة في قدرته على تحمل الأمانة.

٢- تحلي الأسرة بخلق الأمانة:

إن من أنجح الوسائل لتربية الفرد على خلق الأمانة رؤيته لذلك الخلق واقعا مطبقا في الحياة من قبل والديه فكما قيل كن أمامي تكن إمامي، لأن "الطفل يولد ولديه الاستعداد للنمو والتطور حسب المؤثرات التي تحيط به وتؤثر فيه، لذا فإنه يستجيب للقدوة بوالديه في اتجاهاتهم صحيحة كانت أم خاطئة" (أبو رزق،١٤٢٦ه ، ص٢٦١). فسلوك الأولاد يحدده الآباء، لذا على الآباء التحلي بخلق الأمانة وغيرها من القيم الفاضلة حتى تتمثل فيهم القدوة الصالحة، ولا يكونوا ممن يناقض أفعاله أقواله فتذهب توجيهاتهم وإرشاداتهم هباء منثورا.

٣- استئذان الولد في ما هو من حقه:

فإن كل إنسان له حقوق وعليه حقوق، وله الاختيار والتصرف كيف ما شاء فيما ملك من حق ما لم يخالف الشرع أو يضر به، والأمانة تقضي بعدم التعدي على حقوق الآخرين وممتلكاتهم، ويأتي دور الأسرة بتربية الأولاد على ذلك من خلال إعطاء الطفل حق التصرف في ما يخصه من ألعاب وغيرها، وعدم مصادرة رأيه واختياره، والاستماع إليه باهتمام، لأن "إعطاء الولد حقه يشعره بقيمته في الحياة، ويؤهله إلى أن يراعي حقوق الآخرين في المستقبل"(رياض، ٢٠٠٨، ص٤٠). ويربي في الطفل مفهوم الخصوصية واحترامها ويفهم أن له حقوقا لديه الاختيار في إبقائها أو التنازل عنها، فعن سهل بن سعد رضي الله عنه: "أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أُتِي بشراب، فشرب منه وعن يمينه غلام وعن يساره

الأشياخ، فقال للغلام: أتأذن لي أن أعطي هؤلاء؟. فقال الغلام: لا والله يا رسول الله، لا أوثر بنصيبي منك أحدا. قال: فتله رسول الله صلى الله عليه وسلم في يده"(البخاري، ١٤٢٢ه، ج٣، حديث رقم:٢٤٥١، ص١٣٠). فهذا نبي الرحمة صلى الله عليه وسلم القدوة في التربية لم يبعد الغلام من المجلس الذي جلس به ويقرب الأكبر سنّا بل أبقاه لأنه كان أسبق إليه، و لم يجاوزه لصغر سنّه بل استأذن منه ورضي منه اختياره و لم ينكر عليه حقه، هذه التربية التي يجب أن يكون عليها البيت المسلم.

٤- ألا يحصل الطفل على النقود بدون سبب:

فإن حصول الفرد على المال بسهولة، يجعل إنفاقه سهلا عليه دون النظر إلى مصلحة أو فائدة، فإن "من أخطاء كثير من الآباء والأمهات تنشئة أطفالهم على محبة النقود، واكتسابها بطرق هينة، دون كد وعناء، حتى إذا ما كبروا لم يعرفوا قيمة النقود، فيسرفون أو يبذرون، وإذا شحت نقودهم سعوا إلى اكتسابها من حلال أو حرام"(الشنتوت، ١٤١٥ه، ص٦٢). فالمال أصبح في نظره غاية وإنفاقه متعة، فإذا ما فقدها سرق، وإن كان على أمر للمسلمين باع ذمته وخان الأمانة.

لذا كان لزاما على الوالدين أن يستخدما الحكمة في الإنفاق على الطفل من نعومة أظفاره، فلا يعطى المال إلا بسبب ولو كان بسيطا يتناسب مع كل مرحلة سِنّية، كأن يقال استحققت ريالا لأنك عددت من واحد إلى خمسة، فإن دخل المدرسة يعلّم أن ما يحصل عليه من مصروف بسبب ذهابه إلى المدرسة واجتهاده، ويدفع له حصالة ليدخر فيها، فإن ادخر يُكافأ ويُشجَّع ويرشد إلى أن يخرج شيئا شكرا لله تعالى الذي وفقه لهذا، فكل ذلك يزرع في نفس الطفل أن النقود لا تأتي إلا بالعمل والسعي من أجل الحصول عليها، وأنها وسيلة لحفظ الكرامة وتحسين مستوى الحياة وعمل الخير للوصول إلى الجنة.

٢-دور المدرسة في تربية الفرد على خلق الأمانة:

المدرسة هي الشريك الرئيسي للبيت، والمكمل لدوره، والمؤكد على غرسه، فإن المدرسة التي تعمل على "تعليم وتدريب المتعلمين على العديد من المبادئ الأخلاقية العامة ومنها الأمانة، وأن يقوموا باختيار هذا السلوك طوعا لأنه الطريقة الصحيحة في التصرف" (الفتلاوي، ٢٠٠٥، ص٥٠٨). فقيام المدرسة بدورها سيجعل الفرد المسلم عضوا فاعلا في المجتمع يشيد البناء بأمانة وقوة، ومن خلال ذلك يمكن للمدرسة أن تربي خلق الأمانة في التلميذ من خلال:

١- تبيين نتائج حفظ الأمانة ونتائج خيانة الأمانة:

فالأمانة دعامة أساسية لبناء مجتمع صالح على أسس قوية متماسكة، وخيانتها تفسد حياة الأفراد في الدنيا والآخرة، لذلك "يجب أن تُهيّا الفرصة للطفل ليتعلم أن أخذ ما يشتهي ذنب وأنه يعود عليه بجزاء أقسى، ويجب أن يتعلم منذ أول فرصة ممكنة جانبا مما نعنيه بالقيم الدينية والاجتماعية التي نسميها الأمانة" (أبو رزق، ١٤٢٦ه، ص١١٣). ومهمة المعلم أن يصور للتلاميذ جمال المجتمع الذي يتحلى أبنائه

بالأمانة، ويبين لهم عاقبة خيانة الأمانة على الفرد في الدنيا والآخرة، وأن مجتمعا أفراده غير أمناء، مجتمعٌ ضعيف متهالك، سهل الاختراق من قِبل الأعداء، ويضرب لهم الأمثال، فإن اكتمال الصورة في ذهن التلاميذ يجعلهم يتجنبون النتائج السلبية بتجنب خيانة الأمانة، ويلقي في فؤادهم حب الأمانة لأنها توافق فطرتهم السليمة.

٢- توثيق صلة المدرسة بثقافة البيت:

فإن البناء المتكامل لشخصيةٍ سويةٍ أمينةٍ على مجتمعها ينطلق من تكامل دور البيت مع المدرسة، "لذا كان مجلس الآباء والمعلمين من المنظمات الأساسية الاجتماعية التي تعمل على تنشيط الحياة المدرسية ورفع مستوى فاعليتها في خلق جيل جديد صالح" (غباري، ١٤٠٢ه، ص١٣٠). فالبناء السليم للفرد لا يستقيم مع وجود مشكلات أو تضاد في نسق البيت والمدرسة.

لذا، على المدرسة أن تعمل جاهدة لإزالة العوائق التي تحول وإكساب التلميذ سلوك الأمانة، وذلك بتوعية البيت بما يجب عليه من خلال لقاء الآباء، وإرسال النشرات التربوية مع التلميذ، وزيارة الأسرة إن لزم الأمر، فلا يمكن أن ينشأ تلميذ على الأمانة وهو يعيش في محيط لا يعي أهمية الالتزام بها.

٣- بناء علاقة ود بين المعلم والطالب:

فكثير من الطلاب يستمدون الصواب والخطأ من خلال معلميهم، ويتقبلون القيم والاتجاهات والنصح والإرشاد منهم، كل ذلك مشروط برحمة المعلم بالمتعلم، ومحبة إيصال الخير له، "فإذا أردنا للصغار أن يتشربوا المبادئ والقيم والاتجاهات التي نحملها، فينبغي أن نعاملهم بحب غير مشروط" (بكار، ١٤٢٨ه، ص٢٤). فالطالب يقلد ويحترم من يعامله بلطف ودفء فإن كان صاحب أمانة في علمه وعمله نشأ المتعلم أميناً مهتما بمجتمعه، فعلى كل معلم أن يقدم الرحمة على الغضب، ويوجه الطالب للخير من خلال الأفعال قبل الأقوال.

المبحث الرابع: الرقابة

إن تنظيم العمل وإدارته والسير به نحو تحقيق الأهداف المنشودة والابتعاد به عن الأخطاء الكبيرة يحتاج قيادة منتبهة على الدوام تراقب كل صغيرة وكبيرة، تقوّم المعوج وتحاسب المقصر وتعمل على حفظ النظام، لذا كانت قيادة سليمان عليه السلام تتسم بالرقابة الصارمة والحزم في اتخاذ القرار، فما إن رأى التقصير حتى بادر بإعلان العقاب في جيش يحتوي على أشتات من الخلائق، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾ (سورة النمل: الآيتان٢٠-٢١). فسليمان عليه السلام نبي ملك لا يبعد الرقابة والمحاسبة عن تصرفاته و"دل هذا على كمال عزمه وحزمه وحسن تنظيمه لجنوده وتدبيره بنفسه للأمور الصغار والكبار، حتى إنه لم يهمل هذا الأمر وهو تفقد الطيور والنظر: هل هي موجودة كلها أم مفقود منها شيء؟...حتى فقد هذا الطائر الصغير" (السعدي، ١٤٣٢ه، ص٥٨٤). وعندما تيقن أنه غائب أعلن عقوبته لتكون زاجرة له ولغيره واستثنى عليه السلام لعدالته وحكمته، فالرقابة على أعمال العمال ومحاسبتهم على ما يؤدون ينتج جودة في الأداء لأن الأخطاء تستدرك والعامل يسعى ألا يلاحظ عليه شيء يضر به، فإن أهمل أحد المراقبة كان هو الداء وأفسد من دونه من العمال والشركاء، لذا كانت الرقابة من الوظائف الإدارية التي لا تترك حتى يبقى العمل سائرا في الطريق الصحيح.

أولاً: تعريف الرقابة

الرقابة في اللغة: "الرقيب: الحافظ. والرقيب: المنتظر. تقول: رقبت الشيء أرقبه رقوبا، ورقبة ورقبانا بالكسر فيهما، إذا رصدته. والرقيب: الموكل بالضريب. ورقيب النجم: الذي يغيب بطلوعه...والمَرْقَبُ والمَرْقَبَةُ: الموضع المشرِف يرتفع عليه الرقيب. وراقب الله في أمره، أي خافه. والترقب: الانتظار، وكذلك الارتقاب"(الجواهري، ١٤٠٧ه، ج١، ص١٣٧).

فالرقابة بذلك تأتي في اللغة بمعنى: المحافظة، والانتظار، والحراسة.

الرقابة اصطلاحا: "عملية متابعة دائمة تهدف أساسا إلى التأكد من أن الأعمال الادارية تسير في اتجاه الأهداف المخططة بصورة مرضية، كما تهدف إلى الكشف عن الأخطاء والانحرافات ثم تصحيح تلك الأخطاء والانحرافات بعد تحديد المسؤول عنها ومحاسبته المحاسبة القانونية العادلة" (أبوسن، ٢٠٠٦، ص١٣٩).

ثانياً: أهمية الرقابة

إن غاية ما يسعى إليه الإسلام بناء مجتمع يبتعد أفراده عن الانحرافات ويلتزموا أحكام الله تعالى وشرعه في جميع أعمالهم، ولكن الإنسان معرض للخطأ، ولا يخلو مجتمع ما أن يميل بعض أفراده عن

الحق، فالنفس أمارة بالسوء، لذا كان النظام الإسلامي سياسيا وإداريا يدعو لعدم الاتكال فقط على شعور الفرد والتزامه، فأتى القرآن الكريم والسنة النبوية بالتحذير والتذكير للفرد المسلم برقابة الله تعالى وما يترتب على نسيان وإهمال هذه الرقابة، وعمل النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء من بعده على هذا الأمر وذلك لأهمية الرقابة في الإسلام، ومن تلك الأهمية:

١- أنها طريق لرضا الرحمن سبحانه وتعالى والوصول للجنة، فقد خلق الله عز وجل الخلق وأمرهم بعبادته والإخلاص له، وأخبرهم أن عليهم ملائكة يحصون كل ما يصدر عنهم من أفعال فمن راقب الله سبحانه وعلم أنه عليه رقيبا فإنه يفوز برضاه في الدنيا والآخرة ومن رضي عنه ربه عز وجل أدخله الجنة، **قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ﴾** (سورة البينة: آية٨). وخشية الله سبحانه وتعالى مراقبته الدائمة في السر والعلن المانعة للوقوع في المعاصي.

٢- أنها من أسمى المبادئ الإسلامية التي تميز الفرد المسلم في جميع تعاملاته، لأنها دعوة رب عظيم جلّ في علاه وصف نفسه سبحانه وتعالى بالرقيب، **قَالَ تَعَالَىٰ:﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾** (سورة النساء: آية١). فكان الخوف من محاسبة الخالق سبحانه وتعالى القائل في كتابه الكريم، **﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ⁽٧⁾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾** (سورة الزلزلة: الآيات٧-٨). هي التي ضبطت بإذن الله تعالى سلوك صناديد قريش بعد إسلامهم، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال:" سمعت عمر بن الخطاب وخرجت معه حتى دخل حائطا فسمعته وهو يقول وبيني وبينه جدار وهو في جوف الحائط عمر بن الخطاب أمير المؤمنين بخ بخ والله لتتقين الله أو ليعذبنك" (الأصبحي، ١٤١٣ه، ج٣، حديث رقم:٩٢٥، ص٤١٥).

٣- أنها مما أوجب الإسلام على ولي الأمر، فالإنسان مهما بلغ من تقوى وأمانة فإنه كما أخبر المولى سبحانه وتعالى، **قَالَ تَعَالَىٰ:﴿وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴾** (سورة النساء: آية٢٨). لذا كان النبي صلى الله عليه وسلم وهو خير من يحسن الاختيار يراقب عماله ويحاسب كل فرد، عن أبي حميد الساعدي رضي الله عنه قال:"استعمل النبي صلى الله عليه وسلم رجلا من الأزد يقال له ابن اللتبية على الصدقة فلما قدم قال: هذا لكم وهذا أهدي لي. قال: فهلا جلس في بيت أبيه، أو بيت أمه فينظر يهدى له أم لا والذي نفسي بيده لا يأخذ أحد منه شيئا إلا جاء به يوم القيامة يحمله على رقبته إن كان بعيرا له رغاء، أو بقرة لها خوار، أو شاة تيعر، ثم رفع بيده حتى رأينا عفرة إبطيه اللهم هل بلغت اللهم هل بلغت ثلاثا" (البخاري، ١٤٢٢ه، ج٣، حديث رقم: ٢٥٩٧، ص١٥٩). فالمحاسبة تذكر وتحذر وتعلم

الأفراد الالتزام وعدم الحياد عن طريق الحق، وهذا دأب الخلفاء بعد النبي صلى الله عليه وسلم، "يروى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لمن حوله:أرأيتم إذا استعملت عليكم خير من أعلم ثم أمرته بالعدل أكنت قضيت ما علي؟ قالوا: نعم. قال: لا، حتى أنظر في عمله، أعمل بما أمرته أم لا"(ابن عساكر، ١٤١٧ه، ج٤٤، ص٢٨٠). فالمراقبة والمتابعة والمحاسبة من الحزم ودليل عقل راجح، ومتى ما تركه حاكم زاغ حكمه واستخف به قومه ومال عن الحق من حوله؛ لذا التزم سليمان عليه السلام هذا المبدأ وصرح به أمام جيشه وحاشيته وأظهر الرادع بإعلان العذاب لمن خالف، وفي هذا رفق بمن يحكم من تسلط رجال الدولة وظهور أصحاب النفوذ.

٤- أنها سبب بإذن الله تعالى لعز الأمة وقوة شوكتها، **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾(سورة آل عمران: آية١١٠). فجعل الله سبحانه وتعالى أفراد المجتمع الإسلامي رقباء على تصرفات بعضهم يقوّمون المعوج وينصحون الضال ويشدون على يد السائرين على الحق حتى لا يزيغوا عن الدرب، وذلك يثبت الصالحين القائمين بالحق، ويدحض كيد الكائدين، وتوعد الله سبحانه من ترك الرقابة المجتمعية وغفل عنها، **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ (سورة المائدة: الآيتان ٧٨-٧٩). وجعل من صفات أهل الإيمان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (سورة التوبة: آية٧١).

ثالثاً: الآثار التربوية للرقابة

إن رقابة المخلوقين تسقط وتزول، وتبقى رقابة الله الكاملة المطلقة، وإن العلم البشري قاصر ولا يكمل إلاّ علم العليم الخبير؛ وهذا يستلزم مراقبة الله ظاهراً وباطناً، لذا كان لتربية الفرد المسلم على الرقابة آثار تربوية، منها:

١- الجودة في العمل وتحسين الإنتاج:

المراقبة ومتابعة الأعمال تربي الفرد المسلم على السعي للجودة وتحسين الإنتاج وتوجيهه إلى الأصلح والأنفع، وليس لأداء العمل لمجرد الانتهاء منه، وتعود المسلم على النظام، وترفع لديه الشعور بقيمة العمل، وقيامه في الحياة بدوره المنوط به.

٢- تربي الفرد على الصدق:

تدريب المسلم على مراقبة الله سبحانه وتعالى تنشئ فردا صادقا لا يخشى في الله لومة لائم، فلا يداهن ولا يصالح في معصية الله تعالى بعيداً عن النفاق، لأنه تعلم أن الناس لا يملكون الضر أو النفع وإنما كل شيء بيد الله عز وجل، وأنه في حفظه سبحانه وتعالى، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال:"كنت خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما، فقال: يا غلام، إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فأسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله. واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف" (الترمذي، ١٩٩٦، ج٤، حديث رقم:٢٥١٦، ص٦٦٧).

٣- تزكية النفس والبعد عن المعاصي:

إذا حقق المسلم مراقبة الله تعالى زكى نفسه واستحيا من الله تعالى وابتعد عما يسخطه سبحانه وسعى للطاعات، وأدائها على أكمل وجه لأنه حقق منزلة الإحسان لشعوره بأن الله يراه، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ثلاث من فعلهن فقد ذاق طعم الإيمان: من عبد الله عز وجل وحده بأنه لا إله إلا هو، وأعطى زكاة ماله طيبةً بها نفسه في كل عام، ولم يعط الهرمة ولا الدرنة ولا المريضة، ولكن من أواسط أموالكم، فإن الله لم يسألكم خيرها ولم يأمركم بشرها، وزكى نفسه، فقال رجل: وما تزكية النفس؟ قال: أن يعلم أن الله عز وجل معه حيث كان" (الطبراني، ١٤٠٥ه، ج١، حديث رقم:٥٥٤، ص٣٣٤).

٤- بناء جسر من المودة بين أفراد المجتمع:

استحضار مراقبة الله تعالى تحض المسلم على حفظ لسانه وعدم الإساءة للآخرين واحترام أعراض الناس وعدم المساس بها، وهذا ينشر المحبة بين أفراد المجتمع ويبني جسورا من المودة بينهم.

رابعاً: التطبيقات التربوية لمضمون الرقابة في الواقع المعاصر

لقد اهتم الإسلام بالرقابة ورعاها كنظام متكامل يدعم أمن وسلامة ورقي المجتمع، وجعل رقابة الله تعالى من أعظم منازل الدين، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:"الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك" (البخاري، ١٤٢٢ه، ج٦، حديث رقم:٤٧٧٧، ص١١٥). فالرقابة الذاتية التي تنشأ عن الإيمان بالله تعالى أصل لأنواع الرقابة الأخرى فإن نشأ الفرد عليها تحقق للمجتمع الأمن والرقي.

وهنا يأتي دور تربية الفرد على الرقابة من خلال أهم المؤسسات التربوية وأكثرها توجيها للفرد وهي الأسرة والمدرسة.

١-دور الأسرة في تربية الفرد على الرقابة:

إن من أولى المهمات الجليلة للأسرة باعتبارها المؤسسة التربوية الأولى التي ينشأ فيها الفرد، غرس الرقابة في نفسه من خلال تربيته على الرقابة الذاتية والعمل على ضبط تصرفاته بمراقبته لله سبحانه وتعالى وحده؛ لأن ذلك كفيل بأن يرسي قواعد الأمن على المجتمع ويكف الشرور عنه.

ويقدم الباحث بعض التطبيقات التربوية التي تساعد الأسرة على ترسيخ الرقابة الذاتية لدى الطفل، ومن تلك التطبيقات:

١- ربط الصواب والخطأ بالخوف من الله تعالى:

الإنسان من طبيعته الخطأ فهو متفاعل مع الحياة متقلب فيها متأثر بها لا ينفك يغضب أحياناً ويضعف في أحيان أخرى وتتجاذبه الرغبات، عن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال" كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون" (الترمذي، ١٩٩٦، ج٤، حديث رقم:٢٤٩٩، ص٦٥٩). فالسهو والتقصير من طبع البشر، ومن رحمة الله أن فتح له باب التوبة، وأمره بالإنابة إليه، والإقبال عليه، كلما غلبته الذنوب ولوثته المعاصي.

لذا، على الوالد أن يعلم الطفل عندما يخطئ أو يسيء التصرف أن ذلك عملٌ لا يحبه الله تعالى، وأن يعلمه أن الله تعالى يراه وإن لم يكن يراه، وأن يثيبه على الصائب من التصرفات ويخبره بأن ذلك مما يحبه الله تعالى، فإن ذلك يقوي الرقابة في نفس الطفل ويعلقها بالله سبحانه وتعالى، وتنشئ عند الطفل ضميراً يكفه عن المفاسد الاجتماعية والوساوس النفسية والمساوئ الخلقية وإن خلا بنفسه.

وعلى الوالدين أن يبتعدا عن ربط الإحسان والإساءة بحبهما للطفل أو بمبدأ العيب حتى لا يراه الناس، فإن ذلك يربي الطفل على الشعور بالرقابة الاجتماعية فيفهم أنه من الخطأ أن يراك أحد تفعل هذا الأمر، ولا توجد مشكلة إن لم يرك أحد، فينشأ على الرياء واستباحة المعصية عندما لا يكون أحد معه لضعف الشعور بالرقابة في نفسه وعدم استطاعته أن يطبقها في حياته اليومية.

٢- تنمية الرقابة بالنصح والإرشاد والموعظة الحسنة:

إن التنقيب عن أخطاء الفرد وتتبع عوراته والبحث عن سقطاته والسير معه بنظام الجاسوسية؛ كفيل بإفساد النتائج على عكس ما يراد لها من صلاح، عن معاوية رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :"إنك إن اتبعت عورات الناس أفسدهم أو كدت أن تفسدهم" (أبي داود، ١٤١٨ه، ج٤، حديث رقم:٤٨٩٠، ص٤٢٣). فليس من أحد إلا لديه عيوب، فإن فضح وشعر أنه يعيّر بتصرف بدر منه، تجرأ وتبجح بالخطأ وأظهره دون استحياء.

لذا، ينبغي على المربي أن يعلم أنه يتعامل مع بشرٍ من عادته الخطأ والتقصير؛ فالمرء لا يولد كاملاً بل يرتقي ويكتسب الكمالات شيئاً فشيئاً، فيذكر بالله تعالى وينبه على أخطائه بالتلميح أو مناقشة موضوع مشابه لما وقع فيه أو سرد واقعة أوقصة يصحح من خلالها الخطأ، فيترك للطفل مساحة من

الحرية وفرصة للاختيار والعودة بنفسه إلى الصواب، فإن أصر فلا مجال إلا التصريح بينهما دون ثالث لهما.

٢-دور المدرسة في تربية الفرد على الرقابة:

تعتبر المدرسة المؤسسة الثانية التي ينتقل إليها الطفل لاحتضانه بعد الأسرة، فهي تلعب دوراً كبيراً في التأثير على شخصية الطفل وصقل جوانبها المختلفة، ونقل الخبرات العلمية والاجتماعية إليه، وتهيئته للقيام بدوره في خدمة المجتمع وبنائه.

لذا، يرى الباحث أن المدرسة يمكنها من خلال بعض التطبيقات التربوية أن تبني الرقابة في نفس الطالب وتقويها، ومن تلك التطبيقات :

١- تعظيم الله تعالى في قلب الطالب:

إن تعريف الطالب بربه سبحانه وتعالى باستخدام عبارات يسيرة وصور قريبة للعقل يسهم في تنمية الرقابة الذاتية والمجتمعية لدى الطالب، ويزداد لديه جانب مراقبة الله سبحانه وتعالى باستشعار أن الله تعالى يسمعنا ويرانا ويعلم سرنا ونجوانا ويعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، واستشعار أن الله لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء، وأنه محيط بالأشياء كلها.

لذا، على المعلم أن يبين للطلاب عظمة الخالق سبحانه وتعالى وقدرته وعلمه سبحانه من خلال الآيات والأحاديث، وضرب الأمثلة بأنه ليس كل ما لا نراه غير موجود كالهواء مثلاً.

٢- تعليم الطالب الرقابة بالقدوة:

المعلم مصدر للمعرفة والسلوك عند كثير من الطلاب وما يفعله صواب وإن كان غير صائب، وتصرفاته تؤثر على المتعلم وتبقى راسخة في نفسه يتفاعل معها حينا بعد حين، وهذا يلقي بالمسؤولية العظيمة على المعلم بأن يكون قدوة لطلابه في التقيد بمراقبة الله تعالى وعدم خيانة الأمانة فهو لا يربي جيلا وإنما يصنع أمة. فعلى المعلم أن يهتم بإعداد أعماله الكتابية كما يجب عليه، وأن يقدم الدرس بإخلاص وحرص على نفع الطالب، وأن لا يترك الطالب مجالاً حتى يغش في الاختبار، فنتيجة ذلك سيكون فرداً لا يراقب الله تعالى ولا يمكنه أن يتابع ويراقب عمله بإخلاص، ويصبح عامل هدم لا بناء.

خاتــمة الدراسة

استخلاصات الدراسة.

توصيات الدراسة ومقترحاتها.

خاتمة الدراسة:

الحمد لله الذي فقّه من أراد به خيراً في الدين، ورفع منازل العلماء فوق العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهد لنفسه بالوحدانية، وشهد بها ملائكته والعلماء من المؤمنين، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله المبعوث هدى للعالمين وحجة على العباد أجمعين صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وسلم تسليما، وبعد:

فإن من كمال نعمة الله تعالى وتوفيقه إتمام هذه الدراسة والتي بدأت بتعريف موجز بطرفي القصة القرآنية، نبي الله سليمان عليه السلام وملكة سبأ ، ثم سرد أحداث القصة مستنداً في ذلك كله على الكتاب العظيم والصحيح من الحديث الشريف وما صح من أقوال أهل العلم من المفسرين وأهل التاريخ، والرد على روايات باطلة لأحداث في قصة سليمان عليه السلام وملكة سبأ.

ثم تناول الباحث بعض المضامين التربوية المستنبطة من قصة سليمان عليه السلام وملكة سبأ في القرآن الكريم والتي شكلت وحدة مترابطة، ومنهجاً تربوياً متكاملاً لتربية الفرد المسلم في شتى الجوانب العقدية، والتعبدية، والأخلاقية، والإدارية، والسياسية، وبينت الدراسة الآثار التربوية لكل مضمون مستنبط، وتطبيقاته التربوية في الواقع المعاصر من خلال أهم مؤسستين تربويتين وهما الأسرة والمدرسة، لتكون أقرب للفهم والعمل، مؤدية للنفع والفائدة.

وقد حرصت قصة سليمان عليه السلام وملكة سبأ في القرآن الكريم كمثيلاتها من القصص القرآني على العقيدة الصحيحة والاعتزاز بها، والصبر وتحمل المشقة في سبيل الدعوة إليها، وتحقيق العبادة قولاً وعملاً، والحرص على العمل الصالح والعودة إلى الحق، والتحلي بالأخلاق الفاضلة، والتحذير من الزيغ والضلال.

وفيما يلي بيان لأهم استخلاصات الدراسة وبعض التوصيات والمقترحات:

أولاً: استخلاصات الدراسة

لقد خلص الباحث – من خلال هذه الدراسة– إلى الاستخلاصات التالية:

١- احتوت قصة سليمان عليه السلام وملكة سبأ في القرآن الكريم على العديد من المضامين التربوية التي تميزت بشمولها لشتى جوانب الشخصية، فقد احتوت على المضامين العقدية والتعبدية والأخلاقية والإدارية والسياسية.

٢- اختص الله تعالى سليمان عليه السلام بنعم كثيرة، ومعجزات عظيمة لم تعط لأحد من بعده، ووهبه الله تعالى من أسباب الملك ما لم يؤته أحد من خلقه سبحانه.

٣- اهتم القرآن الكريم اهتماماً بالغاً بالعقيدة وتصحيحها، والحثّ على التمسك بها، ونبد ما سواها، فهي الأساس الذي تبنى عليه العبادة المقبولة.

٤- أن مقتضى التوحيد الولاء لله تعالى بمحبة ما يحبه الله تعالى، ومحبة مَن يحبه الله تعالى، والبراءة من كل ما يعبد من دون الله سبحانه تعالى، وبغض ما يبغضه الله سبحانه تعالى، وبغض مَن يبغضه الله تعالى.

٥- أن الله تعالى المنعم المتفضل الذي يعلم الغيب في السماوات والأرض ليس كمثله شيء وهو السميع البصير.

٦- أن سليمان عليه السلام لم ينسه عظم الجيش والمكانة التي هو فيها شكر الله تعالى بل رد الفضل لمستحق الشكر.

٧- أن شكر النعمة داع للمزيد منها، وكفرها داع لزوالها.

٨- أن التوبة والرجوع إلى الله تعالى يبث في النفس التفاؤل، والبعد عن التشاؤم، وتجعل الإنسان يفكر بالمستقبل ويتطلع لحياة مليئة بالعطاء.

٩- أن الصادق من يلتزم بالصدق مع الله سبحانه، ومن صدق إلى الله تعالى فراره صدق مع الله تعالى قراره.

١٠- القائد الناجح هو من يتخذ من التأني والتروي ديدناً له، والتبين والتثبت شعاراً.

١١- أن التواضع خلق إسلامي فاضل يزيد العبد قرباً ومحبة من الله تعالى ثم من عباده.

١٢- أن سائر ما شرع الله عز وجل مبناه على الرحمة، وإن عُدِم الإنسان بعقله القاصر فهم الحكمة فالأصل هو الرحمة.

١٣- أن الشورى مبدأ سياسي إسلامي أقره وأمر به الإسلام وأعلا من شأنه؛ لأنه يؤلف بين قلوب المسلمين من حاكم ومحكومين.

١٤- أن الإسلام يربط بين العقيدة والسلوك ربطاً محكماً، حتى جعل العمل دليلاً على الاعتقاد، وبنى على ذلك المسؤولية والجزاء.

١٥- أن الأمانة سبب لانتشار الأمن والحفظ من الأعداء.

١٦- أن مراقبة الله تعالى تنشئ فرداً صادقاً لا يخشى في الله تعالى لومة لائم، فلا يداهن ولا يصالح في معصية الله تعالى، بعيداً عن النفاق.

١٧- أن تطبيق المضامين التربوية المستنبطة من قصة سليمان عليه السلام وملكة سبأ في القرآن الكريم في الأسرة والمدرسة قولاً وعملاً يؤدي إلى نجاح الآباء والأمهات والمعلمين في تقويم سلوك النشء.

ثانياً: توصيات الدراسة ومقترحاتها

بعد هذا العرض، تخلص الدراسة للتوصيات والمقترحات التالية:

١- الاهتمام بالقرآن الكريم تلاوة وحفظا وتفسيرا وتدبر معانيه، وأن يكون هو المنهج الذي نسير عليه في حياتنا الدينية والاجتماعية والتربوية والإدارية والسياسية، حتى يكون المجتمع أكثر أمناً وأماناً وعزاً وعلواً ونصراً بإذن الله تعالى.

٢- على المربين العمل على تطبيق المضامين التربوية التي وردت في قصة سليمان عليه السلام وملكة سبأ في القرآن الكريم، وذلك لأن فيها فوائد كثيرة وخيراً عظيماً في الدنيا والآخرة.

٣- على المسؤولين أن يهتموا بمحتوى المناهج التعليمية المقدمة للنشء بحيث تربط سلوك الطالب بالعقيدة حتى يشب على وحدانية الله تعالى، وهذا يقتضي أن تكون العقيدة أساساً لبناء المناهج.

٤- ضرورة الاهتمام بالقصص القرآني وقصص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام عند توجيه وتعليم الأولاد في البيت أو في المدرسة فهي أصدق القصص وأكثرها فائدة.

٥- على المربين أن يعطوا الثقة للمتربي، ويزرعوا في نفسه الشعور بالمسؤولية فمبدأ قصة سليمان عليه السلام وملكة سبأ شعور الهدهد بمسؤوليته تجاه العقيدة الصحيحة.

٦- يوصي الباحث المربين عموماً والوالدين والمعلمين خصوصاً بالاهتمام بأمر القدوة فهي من أهم عوامل نجاح التربية، فالطفل يرى في والديه ومعلميه المثل الأعلى الذي يسعى لتقليده، فالحسن عنده ما صنعوا والقبيح ما تركوا.

وانطلاقاً من قصور أي عمل إنساني في تناول جميع جزئيات أي موضوع، فإن الباحث يقترح ما يلي:

١- مواصلة البحوث التربوية المتعلقة في دراسة النصوص القرآنية والنبوية، واستنباط المضامين والمبادئ التربوية منها، لاشتمالها على الكثير من المضامين والقيم الشاملة لجميع جوانب الحياة، ومن ثم تكوين موسوعة عن المضامين التربوية المستنبطة من القرآن الكريم.

٢- إنشاء مراكز أبحاث على غرار المجمع الفقهي يشترك فيها العلماء والباحثون والمفكرون الإسلاميون بصفة دائمة، وتعقد لها دورات منتظمة لدراسة القرآن الكريم والسنة النبوية دراسة مستفيضة لوضع أسس وتصورات تربوية وإدارية تتناسب ومقتضيات العصر، بدل الرجوع إلى النظريات الغربية والأفكار الشرقية والتي لا تتناسب مع ظروف وأوضاع وثقافة المجتمع الإسلامي.

٣- إجراء دراسة لقياس مدى تطبيق المؤسسات التربوية للمضامين المستنبطة من قصة سليمان عليه السلام وملكة سبأ في القرآن الكريم.

٤- إجراء دراسة عن مبادئ الإدارة الإسلامية من قصة سليمان عليه السلام في القرآن الكريم.

٥- إجراء دراسة عن الحوار الحضاري مع الآخر في ضوء قصة سليمان عليه السلام وملكة سبأ في القرآن الكريم.

وصلى الله على محمد وآل محمد الطيبين الطاهرين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١- إبراهيم، أحمد عبدالرحمن (١٤٠٩هـ). **الفضائل الخلقية في الإسلام**. القاهرة: دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع.

٢- ابن أبي شيبة، عبدالله بن محمد (١٤٢٧هـ). **مسند ابن أبي شيبة**. الرياض: دار الوطن للنشر والتوزيع.

٣- ابن الأثير، علي بن محمد بن عبد الكريم (١٤٠٧هـ). **الكامل في التاريخ**. بيروت: دار الكتب العلمية.

٤- ابن الجوزي، عبدالرحمن بن علي (١٤١٢هـ). **صيد الخاطر**. بيروت: دار الكتب العلمية.

٥- ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب (١٤٢٢هـ). **مدارج السالكين**. القاهرة: مؤسسة المختار للنشر والتوزيع.

٦- ________________ (١٩٩٤). **زاد المعاد في هدي خير العباد**. (ط٢٧). بيروت: مؤسسة الرسالة.

٧- ابن باديس، عبد الحميد محمد (١٤١٦هـ). **تفسير ابن باديس**. بيروت: دار الكتب العلمية.

٨- ابن تيمية، أحمد عبدالحليم (١٤١٩هـ). **اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أهل الجحيم**. ت: ناصر عبدالكريم العقل. (ط٦). الرياض: مكتبة الرشد.

٩- ابن حزم، علي بن أحمد بن سعيد (١٤١٦هـ). **الفصل في الملل والأهواء والنحل**. (ط٢). بيروت: دار الجيل.

١٠- ابن حميد، صالح بن عبدالله وآخرون (١٩٩٦). **نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم**. (ط٤). جدة:

١١- ابن خلدون، عبدالرحمن بن علي (١٩٨٥). **مقدمة ابن خلدون**. ت: علي عبدالواحد وافي. (ط٣). القاهرة: دار نهضة مصر للطبع والنشر.

١٢- ابن عاشور، محمد الطاهر (٢٠٠٠). **التحرير والتنوير**. بيروت: مؤسسة التاريخ العربي.

١٣- ابن عساكر، علي بن الحسن بن هبة الله (١٤١٧هـ). **تاريخ دمشق**. بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر.

١٤- ابن عطية، عبدالحق بن غالب (٢٠٠١). **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**.بيروت: دار الكتب العلمية.

١٥- ابن كثير، إسماعيل بن عمر (١٤٠٨هـ). **البداية والنهاية**. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

١٦- ________________ (١٤٢٠هـ). **تفسير القرآن العظيم**. (ط٢). الرياض: دار طيبة

للنشر والتوزيع.

١٧- ابن منظور، محمد بن مكرم(١٩٩٧). **لسان العرب**. (ط٢). بيروت: دار إحياء التراث العربي.

١٨- أبو رزق، حليمة علي (١٤٢٦هـ). **توجيهات تربوية من القرآن والسنة في تربية الطفل**. الرياض: الدار السعودية للنشر والتوزيع.

١٩- أبو سن، أحمد إبراهيم (٢٠٠٦). **الإدارة في الإسلام**. (ط٥). دبي: المطبعة العصرية.

٢٠- أبي داود، سليمان بن الأشعث (١٤١٨هـ). **سنن أبي داود**. بيروت: المكتبة العصرية.

٢١- الأزدي، مقاتل بن سليمان بن بشير (١٤٢٤هـ). **تفسير مقاتل بن سليمان**. بيروت: دار الكتب العلمية.

٢٢- إسماعيل، محمد عماد الدين، ومنصور، رشدي فام، وإبراهيم، نجيب إسكندر (١٩٧٤). **كيف نربي أطفالنا**. (ط٢). القاهرة: دار النهضة العربية.

٢٣- الأصبحي، مالك بن أنس(١٤١٣هـ). **الموطأ**. دمشق: دار القلم.

٢٤- أنيس ، إبراهيم وآخرون (١٤٠٠هـ). **المعجم الوسيـــط**. (ط٢). القاهرة: دار المعارف.

٢٥- باحارث، عدنان حسن (١٤١٤هـ). **مسؤولية الأب المسلم**. (ط٤). جدة: دار المجتمع للنشر والتوزيع.

٢٦- الباقلاني ، أبو بكر محمد بن الطيب (د.ت). **إعجاز القرآن**. (ط٣). مصر: دار المعارف .

٢٧- البخاري، محمد بن إسماعيل (١٤٢٢هـ). **صحيح البخاري**. بيروت: دار طوق النجاة.

٢٨- البغوي، الحسين بن مسعود (١٤١٧هـ). **معالم التنزيل**. (ط٤). الرياض: دار طيبة للنشر والتوزيع.

٢٩- بكار، عبدالكريم (١٤٢٨هـ). **تأسيس عقلية الطفل**. جدة: مركز الراية المعرفية.

٣٠- البياتي، منير حميد (١٤٣٢هـ). **موسوعة المسلم في التوبة والترقي في مدارج الإيمان**. (ط٣). عمان: دار النفائس.

٣١- البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي (١٤٢٣هـ). **شعب الإيمان**. الرياض: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع.

٣٢- الترمذي، محمد بن عيسى(١٩٩٦). **الجامع الكبير**. بيروت: دار الغرب الإسلامي.

٣٣- التميمي، أحمد بن علي (١٤٠٧هـ). **مسند أبي يعلى**. دمشق: دار المأمون للتراث.

٣٤- جاد الله، هدى رشيد (١٤٢٧هـ). **تفسير القرآن بالقراءات العشر من خلال سور (النور–الفرقان–الشعراء–النمل)**. رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الإسلامية، غزة، فلسطين.

٣٥- الجرجاني، علي بن محمد بن علي (١٤٠٥هـ). **التعريفات**. بيروت: دار الكتاب العربي.

٣٦- الجزائري، أبو بكر جابر(١٤١٢هـ). **أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير**. (ط٤). جدة :راسم للدعاية والإعلان.

٣٧- الجزري، علي بن محمد بن عبد الكريم (١٤٠٧هـ). **الكامل في التاريخ**. بيروت: دار الكتب العلمية.

٣٨- الجقندي، عبدالسلام عبدالله (٢٠٠٣). **التربية المتكاملة للطفل المسلم في البيت والمدرسة**. بيروت: دار قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع.

٣٩- الجواهري، إسماعيل بن حماد (١٤٠٧هـ). **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**. (ط٤). بيروت: دار العلم للملايين.

٤٠- الحاكم، محمد بن عبدالله (١٤١١هـ). **المستدرك على الصحيحين**. بيروت: دار الكتب العلمية.

٤١- الحضرمي، محمد بن عمر بحرق (١٩٩٨). **حدائق الأنوار ومطالع الأسرار في سيرة النبي المختار**. بيروت: دار الحاوي.

٤٢- الحمد، محمد بن إبراهيم (١٤٢١هـ). **التوبة وظيفة العمر**. الرياض: دار ابن خزيمة.

٤٣- الخازن، علي بن محمد بن إبراهيم (١٤١٥هـ). **لباب التأويل في معاني التنزيل**. بيروت: دار الكتب العلمية.

٤٤- الخطيب، شريف الشيخ صالح أحمد (١٤٢٥هـ). **السنن الإلهية في الحياة الإنسانية**. الرياض: مكتبة الرشد.

٤٥- الخميسي، أحمد حسن (١٤٢٨هـ). **تربية الأطفال بين البيت والمدرسة**. (ط٢). حلب: دار القلم العربي.

٤٦- الخياط، عبدالعزيز (١٩٩٣). **وأمرهم شورى**. عمّان: مؤسسة آل البيت.

٤٧- خياط، محمد جميل علي (١٤١٦هـ). **الإعداد الروحي والخلقي للمعلم والمعلمة**. جدة: دار القبلة للثقافة الإسلامية.

٤٨- الدبيسي، عبدالرحمن سليمان (١٤٣١هـ). **المضامين التربوية المستنبطة من سورة القلم وتطبيقاتها التربوية**. رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أم القرى، مكة، المملكة العربية السعودية.

٤٩- الرازي، أحمد بن فارس بن زكريا (١٤٢٣هـ). **مقاييس اللغة**. دمشق: اتحاد الكتاب العرب.

٥٠- الرازي، محمد بن أبي بكر (١٤١٥هـ). **مختار الصحاح**. بيروت: مكتبة لبنان ناشرون.

٥١- الرحيلي، محمد بن رزيق (١٤٢٠هـ). **بعض المبادئ التربوية المستنبطة من قصة يوسف عليه الصلاة والسلام**. رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أم القرى، مكة، المملكة العربية

السعودية.

٥٢- رياض، سعد (٢٠٠٨). **أباء وأبناء: مجموعة مواقف تربوية تؤثر في شخصية طفلك.** القاهرة: إبداع للإعلام والنشر.

٥٣- ـــــــــ (٢٠١١). **تربية الأبناء خارج المنزل.** القاهرة: مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة.

٥٤- الزايدي، خالد حامد (١٤٣٣هـ). **المضامين التربوية المستنبطة من قصة قارون مع قومة وتطبيقاتها في الأسرة المسلمة.** رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أم القرى، مكة، المملكة العربية السعودية.

٥٥- الزحيلي، وهبة بن مصطفى (١٤١٨هـ). **التفسير المنير.** دمشق: دار الفكر المعاصر.

٥٦- ـــــــــــــــ (١٤٢٢هـ). **التفسير الوسيط.** دمشق: دار الفكر المعاصر.

٥٧- الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي (٢٠٠٢). **الأعلام.** (ط١٥). بيروت: دار العلم للملايين.

٥٨- زهران، حامد عبدالسلام (٢٠٠٥). **علم نفس النمو.** (ط٦). القاهرة: عالم الكتب للنشر والتوزيع.

٥٩- الزهراني، (١٤٢٧هـ). **اختيارات أبي جعفر النحاس في التفسير من أول سورة الحجر إلى آخر سورة النمل.** رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة أم القرى، مكة، المملكة العربية السعودية.

٦٠- الزواهرة، رانية بركات، والطعامنة، شادي عبدالكريم (٢٠٠٦). **مشكلات في بيوتنا.** عمان: بيت الأفكار الدولية.

٦١- السعدي، عبد الرحمن بن ناصر (١٤٢٥هـ). **القول السديد في مقاصد التوحيد.** الرياض: مجموعة التحف

٦٢- ـــــــــــــــ (١٤٢٦هـ). **الرياض الناضرة والحدائق النيرة الزاهرة.** القاهرة: دار المنهاج.

٦٣- ـــــــــــــــ (١٤٣٢هـ). **تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن.** الرياض: وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد.

٦٤- سلوم، همام حسن (٢٠٠٦). **سليمان عليه السلام في القرآن الكريم.** رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة النجاح، نابلس، فلسطين.

٦٥- الشاوي، توفيق محمد (١٩٩٤).**الشورى أعلى مراتب الديمقراطية. القاهرة:** الزهراء للإعلام العربي.

٦٦- شحاته، حسن (١٤٢١هـ). **النشاط المدرسي**. القاهرة: الدار المصرية اللبنانية للنشر والتوزيع.

٦٧- الشعراوي، محمد متولي (١٩٩٩). **تفسير الشعراوي**. القاهرة: مؤسسة أخبار اليوم.

٦٨- الشنتوت، خالد أحمد (١٤١٥هـ). **دور البيت في تربية الطفل المسلم**. (ط٥). المدينة المنورة: مطابع الرشيد.

٦٩- الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني (١٤١٥هـ). **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**. بيروت: دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع.

٧٠- الشوكاني، محمد بن علي (١٤١٥هـ). **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير**. بيروت: دار الكتب العلمية.

٧١- الشيباني، أحمد بن حنبل (١٤١٩هـ).**مسند أحمد**. بيروت: عالم الكتب.

٧٢- الصابوني، محمد بن علي (١٤٣٢هـ). **النبوة والأنبياء**. بيروت: المطبعة العصرية.

٧٣- صقر، شحاته محمد (٢٠١١).**الإسلام والليبرالية نقيضان لا يجتمعان**.الإسكندرية:دار الخلفاء الراشدين.

٧٤- طبارة، عفيف عبدالفتاح (١٩٨٨). **روح الدين الإسلامي**. (ط٢). بيروت: دار العلم.

٧٥- الطبراني، سليمان بن أحمد (١٤٠٥هـ).**المعجم الصغير**. بيروت: المكتب الإسلامي.

٧٦- ـــــــــــــــــ (١٤١٥هـ). **المعجم الأوسط**. القاهرة: دار الحرمين.

٧٧- الطبري، محمد بن جرير(١٤٢٠هـ). **جامع البيان في تأويل القرآن**. القاهرة: مؤسسة الرسالة للنشر والتوزيع.

٧٨- عامر، طارق عبدالرؤوف (٢٠١٠). **التربية والتنشئة الاجتماعية للطفل**. القاهرة: مؤسسة طيبة للنشر والتوزيع.

٧٩- العباد، عبد الرزاق بن عبد المحسن (٢٠٠١). **تأملات في مماثلة المؤمن للنخلة**. القاهرة: دار ابن عفان للنشر والتوزيع.

٨٠- العبد، عبداللطيف محمد (١٤٠٩هـ). **الأخلاق في الإسلام**. المدينة: دار التراث.

٨١- العثيمين، محمد بن صالح (١٤٢٦هـ). **شرح رياض الصالحين**. الرياض: مدار الوطن للنشر والتوزيع.

٨٢- العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر (١٤٢٦هـ). **فتح الباري بشرح صحيح البخاري**. الرياض:دار طيبة للنشر والتوزيع.

٨٣- العسيري أحمد معمور (١٤١٧هـ).**موجز التاريخ الإسلامي منذ آدم عليه السلام إلى عصرنا الحاضر** ١٤١٧هـ. الدمام: وزارة الإعلام.

٨٤- علوان، عبدالله ناصح (١٤١٢هـ). **تربية الأولاد في الإسلام**. (ط٢١). القاهرة: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع.

٨٥- ــــــــــــــ (١٤١٧ه). **تربية الأولاد على الإسلام**. (ط٣). القاهرة: دار الفكر المعاصر.

٨٦- العلي، محمد صفوان (١٤٠٥ه). **تكاليف القلب السليم**. الكويت: مكتبة الصحابة الإسلامية.

٨٧- علي، محمد كرد (١٩٦٨). **الإسلام والحضارة العربية**. ط(٣). القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والنشر.

٨٨- العمري ، سعيد بن موسى عيدان (١٤٢٣ه). **التوجيهات التربوية المتضمنة في سورة المجادلة**. رسالة ماجستير ، كلية التربية. جامعة أم القرى.

٨٩- العيني، محمود بن أحمد (١٤٢١ه). **عمدة القاري شرح صحيح البخاري**. بيروت: دار الكتب العلمية.

٩٠- غباري، محمد سلامة محمد (١٤٠٢ه). **الخدمة الاجتماعية المدرسية**. جدة: شركة مكتبات عكاظ للنشر والتوزيع.

٩١- الغزالي، محمد (١٤٠٨ه). **خلق المسلم**. (ط٧). دمشق: دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع.

٩٢- الغزالي، محمد بن محمد (د.ت). **إحياء علوم الدين**. بيروت: دار المعرفة.

٩٣- الفتلاوي، سهيلة محسن كاظم (٢٠٠٥). **تعديل السلوك في التدرس**. عمان: دار الشروق للنشر والتوزيع.

٩٤- فوده ، حلمي محمد، وعبدالله ، عبدالرحمن صالح (١٤١٠ه). **المرشد في كتابة الأبحاث**. (ط٦). جدة: دار الشروق.

٩٥- الفيروزآبادي ، مجد الدين محمد بن يعقوب (١٤٢٦ه). **القاموس المحيط**. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

٩٦- القاسمي، محمد جمال الدين (١٣٩٨ه). **محاسن التأويل**. (ط ٢). بيروت: دار الفكر.

٩٧- القحطاني، محمد بن سعيد بن سالم (١٤١٣هـ). **الولاء والبراء في الإسلام**. (ط٦). مكة: دار طيبة.

٩٨- القرطبي، يوسف بن عبدالله (١٤١٥هـ). **الدرر في اختصار المغازي والسير**. القاهرة: وزارة الأوقاف المصرية.

٩٩- قطب، سيد (١٤١٥ه). **في ظلال القرآن**. (ط٢٤). القاهرة: دار الشروق.

١٠٠- قطب، محمد (١٤١٣ه). **مذاهب فكرية معاصرة**. (ط٧). القاهرة: دار الشروق.

١٠١- القنوجي، محمد صديق خان بن حسن بن علي (١٤١٢ه). **فتح البيان في مقاصد القرآن**. بيروت: المكتبة العصرية.

١٠٢- المباركفوري، محمد عبدالرحمن بن عبدالرحيم (١٤٢٠ه). **تحفة الأحوذي بشرح جامع**

الترمذي. بيروت: دار الكتب العلمية.

١٠٣- مبيض، محمد سعيد (٢٠١٠). **أخلاق المسلم وكيف نربي أبناءنا عليها**. عمان: دار الاعلام للنشر والتوزيع.

١٠٤- المرسي، كمال الدين عبدالغني (١٤٢٢ه). **الأسرة المسلمة والرد على ما يخالف أحكامها وآدابها**. الإسكندرية: دار الوفاء للطباعة والنشر.

١٠٥- المسعودي، علي بن الحسين بن علي (١٩٨٩). **مروج الذهب ومعادن الجوهر**. بيروت: الشركة العالمية للكتاب.

١٠٦- المصري، محمد أمين (١٣٩٨هـ). **لمحات في وسائل التربية الإسلامية وغاياتها**. (ط٤). بيروت: دار الفكر.

١٠٧- المقدسي، محمد بن مفلح (١٤١٩ه). **الآداب الشرعية**. (ط٣). بيروت: دار الرسالة.

١٠٨- المقريزى، أحمد بن على (١٤٢٠ه).**إمتاع الأسماع بما للنبى من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع**. بيروت: دار الكتب العلمية.

١٠٩- المناوي، عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي (١٤١٥ه). **فيض القدير شرح الجامع الصغير**. بيروت: دار الكتب العلمية.

١١٠- الميداني، عبدالرحمن حبنكة، والغزالي، محمد (١٤٢٠هـ). **الثقافة الإسلامية المستوى الأول**. مكة: جامعة أم القرى.

١١١- الميداني، عبدالرحمن حسن حبنكة (١٤٢٠ه). **الأخلاق الإسلامية وأسسها**. (ط٥). دمشق: دار القلم.

١١٢- نجاتي، محمد عثمان (١٤٠٢ه). **القرآن وعلم النفس**. القاهرة: دار الشروق.

١١٣- النحلاوي، عبدالرحمن (١٤٠٩ه). **التربية بالآيات**. بيروت: دار الفكر.

١١٤- ـــــــــــــــ (١٩٨٥). **التربية الإسلامية والمشكلات المعاصرة**. (ط٢). دمشق: دار الفكر.

١١٥- النسائي، أحمد بن شعيب (١٩٨٦).**المجتبى من السنن**. (ط٢). حلب: مكتب المطبوعات الإسلامية.

١١٦- النيسابوري، مسلم بن الحجاج(١٤٢٧ه). **صحيح مسلم**. الرياض: دار طيبة للنشر والتوزيع.

١١٧- الهاشمي، صالح بن الحسين (١٤١٩ه). **تخجيل من حرف التوراة والإنجيل**. الرياض:مكتبة العبيكان.

١١٨- الهاشمي، محمد علي (١٤٢٣هـ). **شخصية المسلم كما يصوغها الإسلام في الكتاب**

والسنة. (ط١٠).بيروت: دار البشائر الإسلامية.

١١٩- ياجن ، مقداد (١٤١٩ه). **مناهج البحث وتطبيقاتها في التربية الإسلامية**. الرياض: دار عالم الكتب.

١٢٠- ياجن، مقداد (١٩٧٧).**التربية الأخلاقية الإسلامية**. القاهرة: مكتبة الخانجي.

١٢١- اليحصبي، عياض بن موسى بن عياض (١٤٠٤ه). **الشفا بتعريف حقوق المصطفى**. بيروت: دار الكتاب العربي.